


المحجّة

عيون الرسائل والمسائل
٢



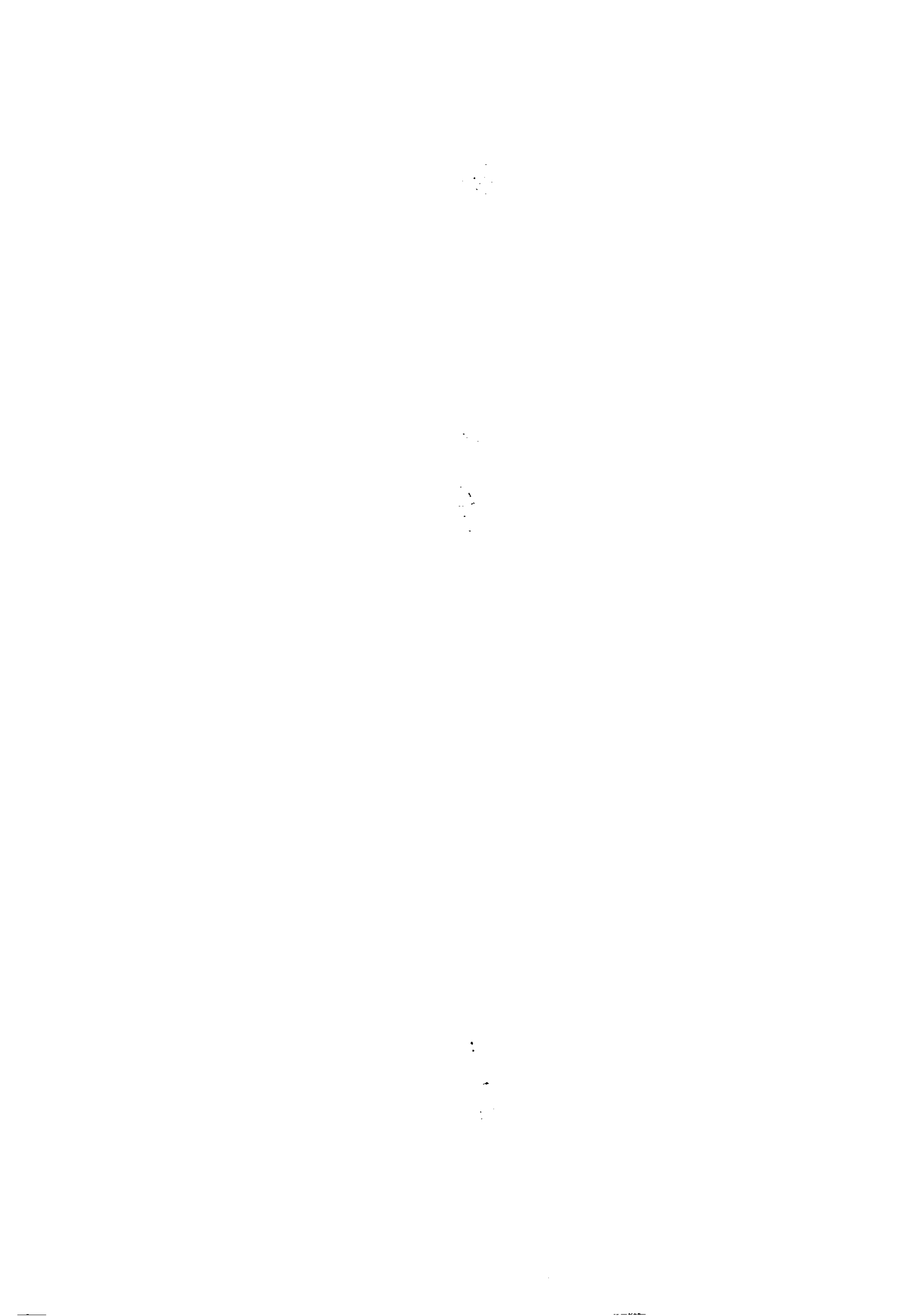
المحجة

تأليف

ناصر السُّنَّة

الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الاسلام

نشر وتوزيع
مكتبة دار الهداية
الرياض - ص ب : ٧٧٨١



بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لـك الحمد أنت نـور السموات والأرض ومن فيهن ولـك الحمد أنت قيم السمـوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمـد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، الذي له ملك السمـوات والأرض، ﴿ولم يتخذ ولـداً ولم يكن له شريـك في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديرا، واتخذوا من دونه آلهـة لا يخلقون شيئـاً وهم يخلقون، ولا يملكون لأنفسهم ضـراً ولا نفعاً، ولا يملكـون موتـاً ولا حياةً ولا نشورا*﴾ وأشهد أن محمداً عبده ورسـوله، الـذي قال الله خـطاباً لـه: ﴿يـا أيها النبي إنـا أرسلناك شـاهداً ومبشـراً ونذيـراً، وداعياً الى الله بـإذنه وسراجاً منيراً*﴾.

اللهم صلِّ على محمـد وعلى آل محمـد وأصحابـه ومن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

أما بعد فإني وقفت على جواب للشيخ عبـد الله بن عبد الـرحمن*، وقد سئل عن أبيات من البردة وما فيها من الغلو والشرك العظيم المضاهي لشرك النصارى ونحوهم*، ممن صرف خصائص الربوبية والإلهية لغير الله*، كـما هـو صريـح الأبيـات المـذكـورة في الـبردة*، ولا يخفى عـلى من عـرف دين الاسـلام أنه الشرك الأكـبر الذي لا يغفـره لمن لم يتب عنه* وأن الجنـة عليه حرام*، وذكره الشيخ في جوابه أن الأبيات المذكورة تضمنت الشرك وصرف خصائص الربوبية والالهية لغير الله*، فاعترض عليه جاهل ضال فقال مبرئاً لصاحب الأبيات* من ذلك الشرك بقولـه حماه الله من ذلـك ويكفيه في نفي هذه الشناعة قوله أول المنظومة*.

دع مــا ادعت النصــارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

لقول النبي ﷺ*، لا تطروني كما أطرت النصارى بن مريم.

الجواب: ان هذه التبرئة إنمـا نشأت عن الجهـل وفساد التصـور*، فلو عرف الناظم وهـذا المعترض ومن سلك سبيلهـما حق الله على عبـاده*، وما اختص به من ربوبيته والوهيته*، وعرفوا معنى كلام الله وكلام رسـوله*، لما قالوا ما قالـوه هم وأمثالهم ممن جهـل التوحيـد*، كما قـال تعالى في حق من هـذا وصفه: ﴿وان كثيـراً ليضلون بأهـوائهم بغير علم ان ربّـك هو أعلم بالمعتدين﴾.

فالجهل بما بعث الله به رسله قد عمّ كثيراً من هذه الأمة فـظهر فيهـا ما أخبر به النبي ﷺ بقوله*، لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقـذة*، حتى لـو دخلوا حجـر ضب لـدخلتمـوه*، قـالـوا يـا رسـول الله اليهــود والنصارى، قال فمن* ونحـو هـذا من الأحاديث*، وقـوله ويكفيـه في نفي هذه الشناعة قوله أول المنظومة*، دع ما ادعته النصارى في نبيهم - البيت

الجواب: ان هذا يزيده شناعة ومقتاً لأن هذا تناقض بيّن*وبرهان عـلى أنـه لا يعلم مـا يقــول، فلقـد وقــع فيـما وقعت فيــه النصـارى من الغلو العظيم*الذي نهى الله عنه ورسوله* ولعن النبي ﷺ من فعله*، أو فعل مـا يوصل اليه*، بقوله*: لعنة الله على اليهود والنصارى اتخـذوا قبور أنبيـائهم مساجد*، يحذر ما صنعوا*، وقال لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله*.

وقوله لما قال له رجل ما شاء الله وشئت*، قـال اجعلتني لله نداً بـل ما شاء الله وحده*، وقال إنه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله عزّ وجلّ* فلقد حذر أمّته وأنذرهم عن الشرك ووسائله*، وما دق منه وجل*، ودعا النـاس

إلى التوحيد*، ونهاهم عن الشرك*، وجاهدهم على ذلك*، حتى أزال الله به الشرك والأوثان من جميع الجزيرة* وما حولها من نواحي الشام واليمن وغير ذلك*، وقد بعث السرايا في هدم الأوثان وازالتها*، كما هو مذكور في كتب الحديث والتفسير والسير، وكما في حديث أبي الهياج الأسدي الذي في الصحيح قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ* أن لا تدع قبراً مشرفاً الا سويته* ولا تمثالاً إلا طمسته*، وقد بعثه النبي ﷺ*، يوم الفتح لهدم منات*، وبعث خالد بن الوليد يومئذٍ لهدم العزى*، وقطع السمرات التي كانت تعبدها قريش وهذيل*، وبعث المغيرة بن شعبة لهدم اللات فهدمها* وأزال من جزيرة العرب وما حولها جميع الأصنام والأوثان التي كانت تعبد من دون الله*، والصحابة رضي الله عنهم تعاهدوا هذا الأمر واعتنوا بإزالته أعظم الاعتناء* بعد وفاة رسول الله ﷺ*، وقد أخبر النبي ﷺ، بما يقع في أمّته من الاختلاف*، كما في حديث العرباض بن سارية، قال: فإنه من يعش منكم* فسيرى اختلافاً كثيراً (الحديث).

فوقع ما أخبر به ﷺ* وعظم الاختلاف في أصل الدين بعد القرون المفضلة* كما هو معلوم عند العلماء*، ولو أخذنا نذكر ذلك أو بعضه لخرج بنا عن المقصود من الاختصار*، فانظر إلى ما وقع اليوم من البناء على القبور والمشاهد وعبادتها*، فلقد عمت هذه البليّة في كثير من البلاد*، ووقع ما وقع من الشرك وسوء الاعتقاد* في أناس ينتسبون إلى العلم.

قال سليمان التميمي*، لو أخذت بزلة كل عالم لاجتمع فيك الشر كله* فإنا لله وإنا اليه راجعون*.

وقوله المطابق لقول النبي ﷺ* لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم.

أقول لا ريب أن المطابقة وقعت منه ولا بد، لكنها في المنهي عنـه لا في النهي*، فالذي نهى عنه النبي ﷺ من الاطراء، طابقته الأبيات من قوله:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به* سواك عند حلول الحادث العمم.

فقـد تضمنت غـايـة الاطـراء* والغلو الـذي وقعت فيـه النصـارى وأمثالهم*، فإنه قصر خصائص الالهية والربوبية التي قصرها الله على نفسـه* وقصرهـا على رسـول الله ﷺ فصرفها لغـير الله*، فإن الـدعاء مـخ العبـادة واللياذ من أنواع العبادة*، وقد جمع في أبياته الاستعانة والاستغاثة بغير الله* والالتجـاء والرغبـة إلى غير الله* فـإن غايـة ما يقـع من المستغيث والمستعين والراغب انما هو الدعاء واللياذ بالقلب واللسان* وهـذه هي أنواع العبـادة، ذكرها الله تعالى في مواضع كثير من كتابه*، وشكرها لمن قصرها على الله*، ووعده على ذلك الاجابة والاثابة.

كقوله تعالى: ﴿هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الـدين الحمد لله رب العـالمين﴾، وقـوله تعـالى: ﴿وقال ربكم ادعـوني استجـب لكم﴾، وقوله تعالى: ﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكـونون عليـه لِبَداً *قـل انما أدعوا ربي ولا أشرك به أحدا* قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً قل اني لن يجيرني من الله أحد ولن أجدَ من دونه ملتحدا﴾ الآية*.

فهذا هو الدين الذي بعث الله نبيه محمداً ﷺ وأمره أن يقول لهم (انمـا أدعـو ربي ولا أشرك به أحـدا*﴾ فقصر الدعـاء على ربـه الذي هـو توحيـد الالهية*، وقال: ﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشدا﴾ إلى آخر الأيات، وهذا هو توحيد الربوبية* فوحد الله في الهيته وربوبيته* وبيّن للأمّة ذلك كـما أمره الله تعالى، وقال تعالى: ﴿فإذا فرغت فانصب* وإلى ربك فارغب*﴾،

أمره بقصر الرغبة على ربه تعالى، وقال: ﴿انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين*﴾.

ونهى عن الاستعاذة بغيره بقوله تعالى عن مؤمني الجن: ﴿وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا﴾، واحتج الامام أحمد رحمه الله وغيره على القائلين بخلق القرآن*، بحديث خولة بنت حكيم مرفوعاً*، من نزل منزلا، فقال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق الحديث على أن القرآن غير مخلوق* إذ لو كان مخلوقاً لما جاز أن يستعاذ بمخلوق*، لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك*، وأمثال ذلك في القرآن والحديث كثير يظهر بالتدبر*.

وأما قول المعترض أن النصارى يقولون ان المسيح ابن الله* نعم قاله طائفه* وطائفة قالوا هو الله*، والطائفة الثالثة قالوا هو ثالث ثلاثة*، وبهذه الطرق الثلاثة عبدوا المسيح عليه السلام*، فأنكر الله عليهم تلك الأقوال في المسيح* وأنكر عليهم ما فعلوه من الشرك، كما قال تعالى: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون*﴾ فأنكر عليهم عبادتهم للمسيح والأحبار والرهبان*.

أما المسيح فعبادتهم له بالتأله وصرف خصائص الالهية من دون الله، كما قال تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلـهين من دون الله، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق*﴾. فأخبر أن الالهية* وهي العبادة حق الله لا يشركه فيها أولوا العزم ولا غيرهم، يبيّن ذلك قوله: ﴿ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم*﴾، وأما عبادتهم للأحبار والرهبان فإنهم أطاعوهم فيما حللوه

لهم من الحرام وتحريم ما حرموه عليهم من الحلال.

ولما قدم عدي ابن حاتم رضي الله عنه عند النبي ﷺ بعد فراره إلى الشام* وكان قبل مقدمه على النبي ﷺ، نصرانياً*، فلما قدم على النبي ﷺ مسلماً* تلى عليه هذه الآية ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾، قال: يا رسول الله لسنا نعبدهم*، فقال النبي ﷺ أليسوا يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه ويحرمون عليكم ما أحل الله فتحرمونه، قال بلى*، قال: فتلك عبادتهم*.

ففيه بيان من أشرك مع الله غيره في عبادته وأطاع غير الله في معصيته*، فقد اتخذه رباً ومعبوداً*، وهذا بيّن بحمد الله.

فلو تأمل هذا الجاهل المعترض قول الله تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله*﴾، لعلم أن الله تعالى قد أنكر على النصارى قولهم وفعلهم*، وعلى كل من عبد مع غيره بأي نوع كان من أنواع العبادة* لكن هذا وأمثاله كرهوا التوحيد* وألفوا الشرك وأحبوه وأحبوا أهله* فترى مآب هذا الداء العضال إلى ما ترى من التخليط والضلال* والاستغناء بالجهل ووساوس الشيطان*، فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه* ولا شفاء لهذا الداء العظيم الا بالتجرد عن الهوى والعصبية والاقبال على تدبر الآيات المحكمات في بيان التوحيد* الذي بعث الله به المرسلين، كما قال تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾، ومثل قوله تعالى ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾.

أمره تعالى أن يدعو أهل الكتاب إلى أن يخلصوا العبادة لله وحده* ولا

يشركوا فيها أحداً من خلقه* فإنهم كانوا يعبدون أنبياءهم كالمسيح ابن مريم ويعبدون أحبارهم ورهبانهم* .

وتأمل قوله كلمة سواء بيننا وبينكم وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ إلى جميع من أرسل إليه، كما قال تعالى **﴿قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به اليه أدعوا واليه مآب﴾** وقوله لا نشرك به شيئاً* يعم كل الشرك دق أو جل، كثر أو قل.

قال العماد بن كثير في تفسيره هذا الخطاب مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم*، وقوله: **﴿سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً﴾** ولا وثنا ولا صنما ولا صليبا ولا طاغوتا ولا نارا ولا شيئاً* بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له.

قلت وهذا هو معنى لا اله الا الله* ثم قال وهذه دعوة جميع الرسل، قال الله تعالى: **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون*﴾**، وقال تعالى: **﴿ولقد بعثنا في كل أمّة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾**، انتهى المقصود*.

وقال رحمه الله في تفسير قوله: **﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله*﴾** الآية. قال محمد بن اسحاق حدثنا محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: قال أبو رافع القرضي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ* ودعاهم إلى الإسلام أتريد يا محمد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى ابن مريم*، فقال رجل من أهل نجران يقال له الرئيس أو ذاك منا يا محمد اليه تدعونا، أو كما قال، فقال رسول الله ﷺ معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر

بعبـادة غير الله* ومـا بذلـك بعثني الله* ولا بذلـك أمرني، أو كـما قال ﷺ* فـأنزل الله عـزّ وجلّ في ذلـك ﴿ما كـان لبشر أن يؤتيه الله الكتـاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾، الى قـوله: ﴿بعـد إذ أنتم مسلمون﴾.

قوله: ﴿ثم يقـول للناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾، أي مـا ينبغي لبشر آتـاه الله الكتـاب والحكم والنبـوة أن يقـول للنـاس أعبـدوني من دون الله*، أي مع الله وإذا كان هذا لا يصـح لنبيٍّ ولا لمرسل*، فـلأن لا يصح لأحد من الناس بطريق الأولى والأخرى.

ولهـذا قـال الحسن البصري لا ينبغي هــذا للمؤمن أن يـأمــر النـاس بعبـادته* وذلـك أن القوم كـان يعبد بعضهم بعضـا، يعني أهـل الكتـاب، وقـوله: ﴿ولا يـأمركم﴾ أي بعبـادة أحدٍ غـير الله* لا ملك مقـرب ولا نبي مرسل* ﴿أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً* أيأمـرَكم بالكفـر بعد إذ أنتم مسلمون*﴾ أي لا يفعل ذلـك لأن من دعا إلى عبـادة غير الله فقـد دعا إلى الكفر* والأنبياء إنما يأمرونكم بالايمـان وعبادة الله وحـده لا شريك لـه، كما قال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليـه أنه لا الـه الا أنا فاعبدون﴾، وقال تعـالى: ﴿واسأل من أرسلنـا من قبلك من رسلنا أجعلنـا من دون الرحمن آلهة يعبـدون*﴾ وقال تعـالى في حق الملائكـة: ﴿ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾ انتهى*.

وهو في غاية الوضـوح وبيان التـوحيد وخصـائص الربـوبية والالهيـة*، ونظائر هذه الآيات كثيرة في القرآن* وفي السنّة من الأحاديث كـذلك* فـإذا كـان من المستحيل عقـلاً وشرعـاً عـلى رسـول الله ﷺ* هـو وجميـع الأنبيـاء والمـرسلين أن يأمـروا أحداً بعبـادتهم فكيف جاز في عقـول هؤلاء الجهلة أن يقبلوا قول صاحب البردة.

يـا أكرم الخلق مـا لي من ألـوذ بـه   سـواك عند حلول الحـادث العمم

وقد أخلص الدعاء الذي هو مخ العبـادة* واللياذ الـذي هو من أنـواع العبادة* وتضمن اخلاص الرغبة والاستكـانة والاستغـاثة والالتجـاء إلى غير الله* وهذه هي معظم العبادة* كما أشير إلى ذلك، كما قال تعالى: **﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء﴾** الآية* وقـوله **﴿قـل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعـونه الى الهـدى آئْتِنَا﴾**، إلى قولـه تعالى: **﴿قـوله الحق ولـه الملك يوم ينفـخ في الصور عـالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير*﴾**.

وعن أنس رضي الله عنه مرفوعاً، الـدعاء مـخ العبادة رواه الـترمذي، وقوله: -

ان لم تكن في معـادي آخذاً بيـدي   فضـلاً والا فقـل يـا زلـة القـدم

هذا القول المنافي لقوله تعالى: **﴿وما أدراك ما يوم الدين* ثم ما أدراك ما يوم الدين* يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يـومئذٍ لله﴾**، **﴾** وقـوله تعالى: **﴿قل اني لا أملك لكم ضراً ولا رشدا﴾**، **﴾** وقوله تعـالى: **﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرا﴾** الآية*.

وفي الحديث الصحيح، أن رسـول الله ﷺ* قال لابنتـه فاطمـة وأحب النـاس اليه، يـا فـاطمـة سليني من مـالي مـا شئت* لا أغني عنـك من الله شيئاً*.

فتأمل ما بين هذا وبين قـول الناظم من التضـاد والتباين* ثم المصـادمة منه لما ذكره الله تعالى* وذكره رسوله ﷺ* وكقوله تعالى لرسوله: **﴿ليس لك**

من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾.

وتأمل ما ذكره العلماء في سبب نزول هذه الآية وأمثال هذه الآية كثير لم ينسخ حكمها ولم يغير* ومن ادعى ذلك فقد افترى على الله كذباً* وأضل الناس بغير علم* وتأمل قول الله تعالى؛ ﴿ولله غيب السموات والأرض واليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون*﴾.

وبهذا يعلم أن الناظم قد زلت قدمه* اللهم إلا أن يكون قد تاب وأناب قبل الوفاة والله أعلم*، وأما قوله:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

فمن المعلوم أن الجواد لا يجود إلاّ بما يملكه*، فمقتضى ذلك أن الدنيا والآخرة ليست لله بل لغيره وأن أهل الجنة من الأولين والآخرين لم يدخلهم الجنة الرب الذي خلقهم وخلقها لهم بل أدخلهموها غيره*، ﴿سبحان ربك رب العزة عمّا يصفون*﴾.

وفي الحديث الصحيح لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله*، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال ولا أنا إلاّ أن يتغمدني الله برحمته* . وقد قال تعالى: ﴿من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾، وقوله تعالى: ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير*﴾، وقوله تعالى: ﴿قل لمن ما في السموات والأرض قل لله* كتب على نفسه الرحمة﴾، وقوله تعالى: ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾، فلا شريك لله في ملكه كما لا شريك له في الهيته وربوبيته*، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، وقوله، ومن علومك علم اللوح والقلم*، وهذا أيضاً كالذي قبله، لا يجوز أن يقال إلاّ في حق الله تعالى*، الذي أحاط علمه بكل شيء*، كما قال تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير*﴾، وقال تعالى: ﴿وما يعزب عن ربك

من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين* ﴾، وقوله تعالى: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب*﴾، وقال تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين*﴾، وقال تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله*﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة تفوق الحصر*، وكل هذه الأمور من خصائص الربوبية والالهية التي بعث الله رسله وأنزل كتبه لبيانها واختصاصها لله سبحانه دون كل من سواه*، وقال تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً الا من ارتضى من رسول*﴾، وقوله في آية الكرسي*: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه*﴾، فقد أطلع من شاء من أنبيائه ورسله على ما شاء من الغيب* بوحيه اليهم* فمن ذلك ما جرى من الأمم السالفة وما جرى عليهم*، كما قال تعالى: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا*﴾ وكذلك ما تضمنه الكتاب والسنّة من أخبار المعاد والجنة والنار ونحو ذلك* أطلع الله عليه رسوله* والمؤمنون عرفوه من كتاب الله وسنّة رسوله* وآمنوا به وأما احاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها*، وما كان منها وما لم يكن* فذاك الى الله وحده* لا يضاف الى غيره من خلقه*، فمن ادعى ذلك لغير الله فقد أعظم الفرية على الله*، وعلى رسوله ﷺ*، فما أجرأ هذا القائل على الله في سلب حقه* وما أعداه لرسول الله ﷺ* ولمن تولاه من المؤمنين والموحدين.

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله* وذكر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه* إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية والشرك*، وما عابه القرآن وذمه* ووقع فيه* وأقره

ودعا اليه* وصوبه وحسنه* وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية* أو نظيره أو شر منه أو دونه* فتنتقض بذلك عرى الاسلام* ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفا*، والبدعة سنّة والسنّة بدعة*، ويكفر الرجل بمحض الايمان* وتجريد التوحيد* ويبدع بتجريد متابعة الرسول ﷺ* ومفارقة الأهواء والبدع*، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا* والله المستعان، انتهى.

قلت وقد رأينا ذلك والله عيانا من هؤلاء الجهلة الذين ابتلينا بهم في هذه الأزمنة* أشربت قلوبهم الشرك والبدع* واستحسنوا ذلك وأنكروا التوحيد والسنّة* وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق* فضلوا وأضلوا.

وأما قول الناظم* فإن لي ذمة منه بتسميتي محمداً، البيت.

فهذا من جهله إذ من المعلوم عند من له أدنى مسكة من عقل*، أن الاتفاق في الاسم لا ينفع إلاّ بالموافقة في الدين واتباع السنّة* فأولياء الرسول ﷺ هم من اتباعه على دينه والعمل بسنّته* كما دل على ذلك الكتاب والسنّة، وكما قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون* الذين يتبعون الرسول النبي الأمّي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل)، إلى قوله: ﴿فالذين آمنوا به وعزّزوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾.

وتأمل قصة أبي طالب عم النبي ﷺ* وقد كان يحوطه ويحميه* وينصره ويجمع القبائل على نصرته ﷺ وحمايته من أعدائه* وقد قال في حق النبي ﷺ:

لقــد علمــوا أن ابننــا لا مكــذب　　　لـدينـا ولا يعني بقــول الأبـاطــل
حـدبـت بنـفسي دونــه وحميتــه　　　ودافعت عنـه بالـذرى والكـلاكـل

ولما لم يتبرأ من دين أبيه عبد المطلب* ومات على ذلك، وقال النبي ﷺ لأستغفرن لك ما لم أنه عنك* أنزل الله سبحانه ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم*﴾ فلا وسيلة للعبد الى نيل شفاعة النبي ﷺ، إلا بالايمان به وبما جاء به من توحيد الله واخلاص العبادة له وحده لا شريك له* ومحبته واتباعه وتعظيم أمره ونهيه* والدعوة إلى ما بعث به من دين الله* والنهي عما نهى عنه من الشرك بالله والبدع* وا لا فلا* فعكس الملحدون الأمر فطلبوا الشفاعة الذي بعث الله رسوله ﷺ* بالنهي عنه وانكاره وقتال أهله واحلال دمائهم وأموالهم* وأضافوا الى ذلك انكار التوحيد* وعداوة من قام به واقتفى أثر النبي ﷺ* كما تقدم في كلام شيخ الاسلام رحمه الله من قوله ويكفر الرجل بمحض الايمان* وتجريد التوحيد الى آخر كلامه.

وأما قول الناظم* ولن يضيق رسول الله جاهك بي، البيت.

فهذا هو الذي ذكر الله عن المشركين من اتخاذ الشفعاء ليشفعوا لهم* ويقربوهم الى الله زلفى. قال الله تعالى: ﴿إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين* الا لله الدين الخالص*﴾.

فهذا هو دين الله الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه* ثم ذكر بعد ذلك دين المشركين، فقال: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى* ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون* ان الله لا يهدي من هو كاذب كفّار*﴾ فتأمل كون الله تعالى كفرهم بقولهم*: ﴿ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى﴾ وقال في آخر هذه السورة ﴿أم اتخذوا

ودعا اليه* وصوبه وحسنه* وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية* أو نظيره أو شر منه أو دونه* فتنتقض بذلك عرى الاسلام* ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفا*، والبدعة سنّة والسنّة بدعة*، ويكفر الرجل بمحض الايمان* وتجريد التوحيد* ويبدع بتجريد متابعة الرسول ﷺ* ومفارقة الأهواء والبدع*، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا* والله المستعان، انتهى.

قلت وقد رأينا ذلك والله عيانا من هؤلاء الجهلة الذين ابتلينا بهم في هذه الأزمنة* أشربت قلوبهم الشرك والبدع* واستحسنوا ذلك وأنكروا التوحيد والسنّة* وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق* فضلوا وأضلوا.

وأما قول الناظم* فإن لي ذمة منه بتسميتي محمداً، البيت.

فهذا من جهله إذ من المعلوم عند من له أدنى مسكة من عقل*، أن الاتفاق في الاسم لا ينفع إلاّ بالموافقة في الدين واتباع السنّة* فأولياء الرسول ﷺ هم من اتباعه على دينه والعمل بسنّته* كما دل على ذلك الكتاب والسنّة، وكما قال تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون* الذين يتبعون الرسول النبي الأمّي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل)، إلى قوله: ﴿فالذين آمنوا به وعزّزوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون﴾.

وتأمل قصة أبي طالب عم النبي ﷺ* وقد كان يحوطه ويحميه* وينصره ويجمع القبائل على نصرته ﷺ وحمايته من أعدائه* وقد قال في حق النبي ﷺ:

لقـــد علمـوا أن ابننـــا لا مكـذب	لـدينـا ولا يعني بقـــول الأبـاطــل
حـدبـت بنـفسي دونـــه وحميـتـــه	ودافعت عنـه بالـذرى والكـلاكـل

ولما لم يتبرأ من دين أبيه عبد المطلب* ومات على ذلك، وقال النبي ﷺ لأستغفرن لك ما لم أنه عنك* أنزل الله سبحانه **﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم*﴾** فلا وسيلة للعبد الى نيل شفاعة النبي ﷺ، إلا بالايمان به وبما جاء به من توحيد الله واخلاص العبادة له وحده لا شريك له* ومحبته واتباعه وتعظيم أمره ونهيه* والدعوة إلى ما بعث به من دين الله* والنهي عما نهى عنه من الشرك بالله والبدع* وا لا فلا* فعكس الملحدون الأمر فطلبوا الشفاعة الذي بعث الله رسوله ﷺ* بالنهي عنه وانكاره وقتال أهله واحلال دمائهم وأموالهم* وأضافوا الى ذلك انكار التوحيد* وعداوة من قام به واقتفى أثر النبي ﷺ* كما تقدم في كلام شيخ الاسلام رحمه الله من قوله ويكفر الرجل بمحض الايمان* وتجريد التوحيد الى آخر كلامه.

وأما قول الناظم* ولن يضيق رسول الله جاهك بي، البيت.

فهذا هو الذي ذكر الله عن المشركين من اتخاذ الشفعاء ليشفعوا لهم* ويقربوهم الى الله زلفى. قال الله تعالى: **﴿إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين* الا لله الدين الخالص*﴾**.

فهذا هو دين الله الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه* ثم ذكر بعد ذلك دين المشركين، فقال: **﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى* ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون* ان الله لا يهدي من هو كاذب كفّار*﴾** فتأمل كون الله تعالى كفرهم بقولهم*: **﴿ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى﴾** وقال في آخر هذه السورة **﴿أم اتخذوا**

من دون الله شفعاء، قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون* قل لله الشفاعة جميعاً، قلت وقد وقع من هؤلاء من اتخذهم شفعاء* بدعائهم وطلبهم ورغبتهم* والالتجاء اليهم وهم أموات غافلون عنهم لا يقدرون ولا يسمعون* لما طلبوا منهم وأرادوه.

وقد أخبر تعالى أن الشفاعة ملكه لا ينالها من أشرك به غيره وهو الذي له ملك السموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة، وهم من دعائهم غافلون* وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾.

فعاملهم الله بنقيض قصدهم من جميع الوجوه* وأسجل عليهم بالضلال* ولهذه الآية نظائر كثيرة، كقوله ﴿ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير* ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾.

فبيّن أن دعوتهم غير الله شرك بالله* وأن المدعو غيره لا يملك شيئاً وأنه لا يسمع دعاء الداعي ولا يستجيب* وأن المدعو ينكر ذلك الشرك* ويتبرأ منه* ومن صاحبه يوم القيامة* فمن تأمل هذه الآيات* انزاحت عنه بتوفيق الله وفتحه جميع الشبهات* ومما يشبه هذه الآية في حرمان من أنزل حوائجه بغير الله* واتخذه شفيعاً من دون الله بتوجيه قلبه وقالبه اليه* واعتماده في حصول الشفاعة عليه* كما قد تضمنه بيت الناظم قول الله تعالى: ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبؤ الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾.

فانظر كيف حرمهم الشفاعة لما طلبوها من غير الله* وأخبر أن حصولها مستحيل في حقهم بطلبها في ذار العمل من غيره* وهذه هي الشفاعة التي نفاها القرآن* كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾، وقال تعالى: ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع*﴾ فهذه الشفاعة المنفية*، هي التي فيها شرك*، وأما الشفاعة التي أثبتها القرآن* فإنما ثبتت بقيدين عظيمين* اذن الرب تعالى للشفيع* ورضاه عن المشفوع له* وهو لا يرضى من الأديان الستة المذكورة في قوله: ﴿ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا﴾ الآية* الا الايمان الذي أصله وأساسه التوحيد والاخلاص* كما قال تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده الا بإذنه* ﴾ وقال تعالى: ﴿ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون*﴾، وقال تعالى: ﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى*﴾، وقال تعالى: ﴿ان ربكم الله الذي خلق السموات والأرض*﴾، الى قوله: ﴿ما من شفيع الا من بعد اذنه*﴾.

وفي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ، لما ذكر شفاعته* قال: وهي نائلة ان شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً* وقال أبو هريرة رضي الله عنه من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة، قال: من قال لا اله الا الله خالصاً من قلبه.

قال شيخ الاسلام في هذا الحديث، فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص باذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله*، وقد كشفنا بحمد الله بهذه الآيات المحكمات تلبيس هذا المعترض الملبس، ولجاجه وافترائه على الله ورسوله* فإن دعوة غير الله ضلال* وشرك ينافي التوحيد* وأن اتخاذ الشفعاء انما هو

بـدعائهم*، والالتجـاء اليهم وسؤالهم أن يشفعـوا للداعي*، وقـد نهى الله عن ذلك*، وبيّن أن الشفاعة لـه* فإذا كـانت له وحـده فلا تـطلب الا ممن هي ملكه*، فيقول: اللهم شفع نبيك فيّ لأنه تعالى هو الذي يـأذن للشفيع أن يشفع فيمن يرضى دينه*، وهو الاخـلاص كما تقـدم بيانـه*، وأما قـول المعترض* ان المعتزلة احتجوا بالآيات التي فيها نفي الشفاعة على انها لا تقع لأهل الكبائر من الموحدين*.

فـأقول لا ريب أن قـولهم هذا بـدعة وضـلالة، وأنت أيهـا المجـادل في آيـات بغير سلطان مـع المعتزلـة في طرفي نقيض*، تقـول إن الشفـاعـة ثبت لمن طلبها وسألها من الشفيع فجعلت طلبها موجباً لحصولهـا*، والقرآن قـد نفى ذلك وأبطله في مواضع كثيرة بحمد الله* والحق أنها لا تقع الا لمن طلبها من الله وحده* ورغب اليه فيها* وأخلص له العبادة بجميع أنـواعها* فهـذا هو الذي تقع له الشفاعة قبل دخول النار أو بعده ان دخلها بذنوبـه* وهذا هـو الذي يأذن الله للشفعاء أن يشفعوا له بما معـه من الاخلاص* كـما صرحت بذلك الأحاديث والله أعلم*.

وقد قدمنا ما دل عليه الكتاب والسنّة أن ما في القرآن من ذكر الشفاعة نفياً واثباتاً فحق لا اختلاف فيه بين أهل الحق* فالشفاعة المنفيـة انما هي في حق المشرك* الـذي اتخذ لـه شفيعاً بـطلب الشفاعـة منـه* فـيرغب اليـه في حصولها* كما في البيت المتقدم* وهو كفر كما صرح به القرآن.

وأما الشفاعة التي أثبتها الكتاب والسنّة فقـد ثبتت للمذنبـين الموحـدين المخلصين* وهذا هو الذي تـظاهرت عليـه النصوص* واعتقـده أهل السنّـة والجماعة* ودانوا به والحـديث الذي أشـار إليه المعـترض من قولـه أنا لهـا أنا لهـا، لا ينافي مـا تقرر وذلـك أن الناس في مـوقف القيامـة* إذا فـزعـوا إلى

الـرسل ليشفعـوا لهم الى الله في اراحتهم* من كرب ذلـك المقام بـالحساب* وكل نبي ذكر عذره.

قال النبي ﷺ في الحديث* فيأتوني فأخر بين يدي الله سـاجداً* أو كـما قال فأحمده بمحامد يفتحها عليّ* ثم يقال ارفع رأسك*، وقل تسمع* واسأل تعطه*، واشفع تشفع* قال فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة.

فتأمل كـون هذه الشفـاعة لم تقـع الا بعد السجـود لله* ودعائـه وحمده والثناء عليه بما هو أهله* وقوله فيحد لي حداً* فيه بيان أن الله هو الذي يحد له* وهذا الذي يقع من الناس يوم القيامة مـع الرسـل* هو من بـاب سؤال الحي الحاضر* والتوسل الى الله بدعـائه* كـما كان الصحـابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله ﷺ في حياته أن يدعـو لهم إذا نابهم شيء* كـما في حديث الاستسقاء وغيره*.

ولما توفي رسـول الله ﷺ، لم يكونـوا يفعلون عند قـبره شيئـاً من ذلـك البتة* ففرق أصحاب رسول الله ﷺ، وهـم أعلم الأمة وأفضلها* بين حالتي الحياة والممات* وكانوا يصلون عـلى النبي ﷺ عند دخـول المسجد والخـروج منه* وفي الصلاة والخـطب* وعند ذكـره امتثالاً لقـوله ﷺ* لا تجعلوا قـبري عيداً* ولا بيوتكم قبوراً* وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني أينما كنتم*.

ولمـا أراد عمـر رضي الله عنـه أن يستسقي بـالنـاس* أخـرج معـه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه* فقال اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنـا اليك بنبينا فتسقينا* وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا* فيدعو* فلو جـاز أن يتوسل عمر والصحابة بذات النبي ﷺ بعد وفاته* لما صلح منهم أن يعـدلوا عن النبي ﷺ* الى العباس* فلما عدلـوا عنه الى العبـاس* علم أن التوسـل بالنبي ﷺ بعد وفاته لا يجوز في دينهم* وصار هذا اجماعاً منهم*.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله وقد أنكر أئمة الاسلام ذلك، فقال أبو الحسن القدوري* في شرح كتاب الكرخي، قال بشر بن الوليد: سمعت أبا يوسف يقول: قال أبو حنيفة، لا ينبغي لأحد أن يدعو الله الاّ به* وأكره أن يقول بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك* وبحق البيت الحرام، قال أبو الحسن* أما المسألة بغير الله فتكره في قولهم لأنه لا حق لغير الله عليه* وانما الحق لله على خلقه.

وقال ابن بلدمي في شرح المختار*، ويكره أن يدعو الله الا به، فلا يقول أسألك بفلان، أو بملائكتك، أو بأنبيائك ونحو ذلك*، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق، وما يقول فيه أبو حنيفة وأصحابه* أكره كذا هو عند محمد حرام*، وعند أبي حنيفة وأبي يوسف، هو إلى الحرام أقرب* وجانب التحريم عليه أغلب* فإذا قرر الشيطان عنده أن الأقسام على الله به* والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه، وأنجع بقضاء حاجته*، نقله درجة أخرى الى دعائه نفسه من دون الله*، ثم ينقله بعد درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وثناً يعكف عليه*، ويوقد عليه القنديل*، ويعلق عليه الستور*، ويبني عليه المسجد*، ويعبده بالسجود له والطواف*، وتقبيله واستلامه، والحج اليه والذبح عنده*، ثم ينقله درجة أخرى الى دعاء الناس لعبادته*، واتخاذه عيداً ومنسكاً*، وان ذلك نفع لهم في دنياهم وأخراهم* .

قال شيخنا قدس الله روحه، وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب أبعدها عن الشرع، أن يسأل الميت حاجته*، ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس، قال وهؤلاء من جنس عباد الأصنام*، وهذا يحصل للكفّار من المشركين وأهل الكتاب*، يدعو أحدهم من يعظمه*، ويتمثل لهم الشيطان أحياناً*، وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة.

ثم ذكر المرتبة الثانية، وهي أن يسأل الله به*، وقال وهو بدعة باتفاق المسلمين.

والثالثة: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب*، أو أنه أفضل من الدعاء في المساجد*، فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين*، وهي محرمة وما علمت في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين*، وان كان كثيراً من الناس يفعل ذلك، انتهى.

ففرض على كل أحد أن يعلم ما أمره الله به ورسوله*، من اخلاص العبادة لله وحده*، فإنه الدين الذي بعثه به، وأن يترك ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ من الشرك فما دونه، كما قال تعالى: ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك، فإن فعلت، فإنك إذا من الظالمين﴾ الآية*، وأن لا يدين لله تعالى الا بما دلّه الدليل على أنه من دين الله*، ولا يكون أمّعة يطير مع كل ريح*، فإن الناس من أمّة محمد ﷺ*، والأمم قبلها، قد تنازعوا في ربهم وأسمائه وصفاته*، وما يجب له على عباده، وقد قال تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾.

فيا سعادة من تجرّد عن العصبية والهوى*، والتجأ إلى حصن الكتاب والسنّة*، فإن العلم معرفة الهدى بدليله*، وما ليس كذلك فجهل وضلال.

وأما قول المعترض، فانظر إلى الشفاعة تجده حكي كفر، من قال مثل هذه الكلمة*، أي الكلمة التي ذكرها المجيب*، في معنى قوله: ﴿قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً﴾، الآيات. ذكر عبارة النسفي في معناها*، وهي قوله هو اظهار العبودية*، وبراءة مما يختص بالربوبية من علم

الغيب*، أي انا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع، ولا دفع ضر*، إلى آخر كلامه*، إذ من عادة هذا المعترض الجاهل*، رد الحق والمكابرة في دفعه والغلو المتناهي*، والا فمن المعلوم عند من له معرفة بدين الاسلام*، أن المجيب إنما أتى في جوابه بتحقيق التوحيد*، ونفي الشرك بالله*، وذلك تعظيم لجانب الرسالة*.

وكان النبي ﷺ، ينهى أمّته عن كل ما يؤل بهم الى الغلو*، ولما قيل له ﷺ، أنت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا، قال*: يا أيها الناس قولوا بقولكم*، أو بعض قولكم*، ولا يستهوينكم الشيطان*، أنا عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله تعالى* .

والنبي ﷺ، هو أحق الخلق بالتواضع لله وحده سبحانه*، وفي الحديث فإنك إن تكلني إلى نفسي، تكلني إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة*، وإني لا أثق إلا برحمتك*، الحديث.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة*، يخبر بذلك عن نفسه ويعترف بذلك لربه*، وهو الصادق المصدوق*، فإذا قال المسلم مثل هذا في حقه ﷺ*، وأخبر بما أخبر به عن نفسه لم يكن منتقصاً له*، بل هذا من تصديقه والايمان به.

قال شيخ الاسلام رحمه الله، إذا كان الكلام في سياق توحيد الرب*، ونفي خصائصه عما سواه*، لم يجز أن يقال هذا سوء عبارة في حق من دون الله، من الأنبياء والملائكة*، فإن المقام أجل من ذلك وكل ما سوى الله يتلاشى عن تجريد توحيده*، والنبي ﷺ، كان من أعظم الناس تقريراً لما يقال على هذا الوجه*، وان كان نفسه المسلوب*، كما في الصحيحين في حديث الأفك، لما نزلت براءة عائشة من السماء*، وأخبرها النبي ﷺ

بذلك، قالت لها أمها قومي إلى رسول لله ﷺ، قالت: والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا اياكما*، ولا أحمد الا الله الذي أنزل براءتي*، فأقرها النبي ﷺ وأبوها على هذا الكلام، الذي نفت فيه أن تحمد رسول لله ﷺ*، وفي رواية بحمد الله لا بحمدك، ولم يقل أحد هذا سوء أدب منها عليه ﷺ.

وأخرج البيهقي بسنده إلى محمد بن مسلم، قال: سمعت حبان صاحب ابن المبارك يقول*، قلت لعبد الله بن المبارك قول عائشة للنبي ﷺ، بحمد الله لا بحمدك*، إني لأستعظم هذا، فقال عبد الله، ولّت الحمد أهله*، وكذلك الحديث الذي رواه الامام أحمد بسنده، عن الأسود بن سريع*، أن النبي ﷺ، أتى بأسير*، فقال: اللهم أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد*، فقال النبي ﷺ، عرف الحق لأهله.

وهذا المعترض وأمثاله، ادعوا تعظيم أمر رسول الله ﷺ، بما قد نهى عنه من الغلو والاطراء*، وهضموا ربوبية الله، وتنقصوا الهيته*، وأتوا بزخارف شيطانية* وحاولوا أن يكون حق الله من العبادة التي خلق لها عباده، نهباً بين الأحياء والأموات، هذا يصرفه لنبي*، وهذا للملك*، وهذا لصالح*، أو غير هؤلاء ممن اتخذوهم انداداً لله*، وعبدوا الشياطين بما أمروهم به، من ذلك الشرك بالله*، فإن عبادتهم للملائكة والأنبياء والصالحين*، إنما تقع في الحقيقة على من زينها لهم من الشياطين، وأمرهم بها، كما قال تعالى: **﴿ويوم يحشرهم جميعاً، ثم يقول للملائكة، أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون*، قالواسبحانك، أنت وليناا من دونهم، بل كانوا يعبدون الجن، أكثرهم بهم مؤمنون﴾**، ونحو هذه الآية كثير في القرآن.

ولما ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله، ما وقع في زمانه من الشرك بالله*، قال: وهذا هضم للربوبية*، وتنقص للالهية*، وسوء ظن برب

العالمين*، وذكر أنهم ساووهم بالله في العبادة، كما قال تعالى عنهم، وهم في النار﴿تالله ان كنا لفي ضلال مبين*، اذ نسويكم برب العالمين﴾.

وأما ما ذكره عن خالد الأزهري*، فخالد وما خالد، أغرّك منه كونه شرح التوضيح والأجرومية في النحو* وهذا لا يمنع كونه جاهلاً بالتوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ*، كما جهله من هو أعلم وأقدم منه*، ممن لهم تصانيف في المعقول كالفخر الرازي*، وأبي معشر البلخي*، ونحوهما ممن غلط في التوحيد، وقد كان خالد هذا يشاهد أهل مصر يعبدون البدوي وغيره*، فما أنكر ذلك في شيء من كتبه ولا نقل عنه أحد انكاره*، فلو صح ما ذكره خالد من حال الناظم لم يكن جسراً تذاد عنه النصوص*، من الآيات المحكمات القواطع*، والأحاديث الواضحات البينات*، كقوله تعالى: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾، وقوله تعالى: ﴿ومن يدع مع الله الهاً آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه أنه لا يفلح الكافرون﴾.

وقول النبي ﷺ*، من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار* وقد استدرج الله أهل الشرك بأمور تقع لهم يظنونها كرامات عقوبة لهم*، وكثير منها أحوال شيطانية أعانوا بها أولياءهم من الأنس* كما قد يقع كثيراً لعباد الأصنام وما أحسن ما قال بعضهم شعراً: -

تخالف الناس فيما قد رأوا ورووا	وكلهم يدعون الفوز بالظفر
فخذ بقول يكون النص ينصره	اما عن الله أو عن سيد البشر

وقد حاول هذا الجاهل المعترض صرف أبيات البردة*، عما هو صريح فيها ونص في ما دلت عليه من الشرك في الربوبية والالهية*، ومشاركة الله في علمه وملكه*، وهي لا تحتمل أن تصرف عما هي فيه من ذلك الشرك

والغلو*، فما ظفر هذا المعترض من ذلك بطائل*، غير أنه وسم نفسه بالجهل والضلال والزور والمحال*، ولو سكت لسلم من الانتصار*، لهذا الشرك العظيم*، الذي وقع فيه.

وأما قول المعترض ورد في الحديث لولا حبيبي محمد ما خلقت سمائي ولا أرضي*، ولا جنتي ولا ناري*، فهذا من الموضوعات لا أصل له، ومن ادعى خلاف ذلك*، فليذكر من رواه من أهل الكتب المعتمدة في الحديث*، وأنّى له ذلك*، بل هو من أكاذيب الغلاة الوضاعين.

وقد بيّن الله تعالى حكمته في خلق السموات والأرض في كثير من سور القرآن، كما في الآية التي تأتي بعد*، وهي قول الله تعالى: **﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير*، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾**.

ولها نظائر تبيّن حكمة الرب في خلق السموات والأرض، وقوله وكيف ينكر تصرفه في اعطاء أحد بإذن الله من الدنيا في حياته أو في الآخرة بعد وفاته*.

أقول هذا كلام من اجترى وافترى*، وأساء الأدب مع الله، وكذب على رسوله*، ولم يعرف حقيقة الشفاعة*، ولا عرف تفرد الله بالملك يوم القيامة*، وهل قال رسول الله ﷺ أو أحد من أصحابه أو من بعدهم* من أئمة الاسلام*، أنّ أحداً يتصرف يوم القيامة في ملكه ولو أطلقت هذه العبارة في حق رسول الله ﷺ*، لادّعاها كل لمعبوده من نبي أو ملك أو صالح*، أنه يشفع له اذا دعاه*، سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء، وقال تعالى: **﴿يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بإذنه﴾**، وقال: **﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفًا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال**

صواباً*﴾، وهذا القول الذي قاله الجاهل*، قد شافهنا به جاهل مثله بمصر*، يقول الذي يتصرف في الكون سبعة*، البدوي*، والامام الشافعي*، والشيخ الدسوقي*، حتى أكمل السبعة من الأموات، يقول هذا ولي له شفاعة وهذا صالح كذلك، وقد قال تعالى: ﴿لينذر يوم التلاق*، يوم هم بارزون لا يخفى على الله شيء، لمن الملك اليوم، لله الواحد القهار*، الى قوله: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع*﴾، وأي ظلم أعظم من الشرك بالله، ودعوى الشريك له الملك*، والتصرف وهذا غاية الظلم.

قال شيخ الاسلام رحمه الله في هذا المعنى، قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير*، ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له*﴾، نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه*، أو يكون عوناً لله ولم يبق الا الشفاعة التي يظنها المشركون وهي منتفية كما نفاها القرآن*، وأخبر النبي ﷺ عليه وسلم*، أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده*، لا يبدأ بالشفاعة أولاً ثم يقال ارفع رأسك*، وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع*، وقال له أبو هريرة رضي الله عنه، من أسعد الناس بشفاعتك*؟ قال: من قال لا اله الا الله خالصاً من قلبه*، فتلك الشفاعة لأهل الاخلاص باذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله*.

وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الاخلاص*، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه*، وينال المقام المحمود*.

فالشفاعة التي نفاها القرآن، ما كان فيها شرك*، ولهذا أثبت الشفاعة

بـإذنه في مـواضع، وقـد بيّن النبي ﷺ*، أنها لا تكـون الا لأهل التـوحيـد والاخلاص، انتهى كلامه.

وقال العلامة ابن القيم في مدارج السالكين*، وقـد قطع الله الأسبـاب التي يتعلق بها المشركون جميعاً*، فقال تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك ومـا له منهم من ظهـير*، ولا تنفع الشفـاعة عنـده الا لمن أذن له﴾، فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل لـه به من النفـع*، والنفع لا يكـون الا ممن فيه خصلة من هذه الأربع*، أما ما لك لما يريده عابـده منه*، فـان لم يكن شريكـاً له، كـان معيناً وظهيـراً*، فان لم يكن معينـاً ولا ظهيراً، كـان شفيعاً عنده*، فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً منتقلاً من الأعـلى الى الأدنى*، فنفى الملك والشركـة والمظاهـرة والشفاعـة التي يـطلبهـا المشرك*، وأثبت شفاعة لا نصيب فيهـا لمشرك*، وهي الشفاعـة بإذنـه*، فكفى بهذه الآية نوراً وبـرهانـاً وتجريـداً للتوحيـد*، وقطعـاً لأصول الشرك ومـوادة لمن عقلها*، وفي القرآن كثير من أمثالها ونظائرها*، ولكن أكثر الناس لا يشعـر بدخول الواقع تحته*، وتضمنه له ويظنه في نوع.

قـوم قد خلوا من قبل*، ولم يعقبوا وارثاً، فهذا الذي يحول بين القلب وفهم القرآن*، ولعمر الله ان كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو دونهم*، وتناول القرآن لهم كتنـاوله لأولئـك الى أن قال ومن أنـواعه أي الشرك، طلب الحوائج من الموتى*، والاستعانة بهم والتوجـه اليهـم*، وهذا أصل شركة العالم*، فان الميت قد انقطع عمله*، وهو لا يملك لنفسه نفعـاً ولا ضراً، فضلاً لمن استغاث به*، وسأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له الى الله*، وهذا بجهله بالشافع والمشفوع عنده*، فانه لا يقدر أن يشفع لـه

عند الله الا بإذنه*، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لإذنه*، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن*، وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها*، وهذه الحالة كل مشرك*، فجمعوا بين الشرك بالمعبود*، وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد*، ونسبة أهله الى تنقص بالأموات*، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك*، وأولياء التوحيد له بذمهم وعيبهم ومعاداتهم*، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقيص، اذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا*، وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم، قال: وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر الا من جرد توحيده لله*، وعادى المشركين في الله*، وتقرب بمقتهم الى الله*، واتخذ الله وحده وليه والهه ومعبوده*، فجرد حبه لله*، وخوفه لله*، ورجاءه لله*، وذله لله*، وتوكله على الله*، واستعانته بالله*، والتجاءه الى الله*، وأخلص قصده لله*، متبعاً لأمره متطلباً لمرضاته، واذا سأل، سأل الله*، وإذا استعان، استعان بالله*، واذا عمل، عمل لله*، وبالله ومع الله، انتهى.

فرحم الله هذا الامام، وشيخه*، فلقد بينا للناس حقيقة الشرك وطرقه وما يبطله.

وفي حديث ابن عباس، أن رسول الله ﷺ، قال له، اذا سألت، فاسأل الله*، واذا استعنت، فاستعن بالله*، ولم يقل فاسألني*، واستعن بي*، بل قصر السؤال والاستعانة على الله، الذي لا يستحقه سواه*، كما في قوله: ﴿اياك نعبد واياك نستعين*﴾، فمن صرف ذلك لغير الله فقد عصى الله ورسوله*، وأشرك بالله*.

وللمعترض كلام ركيك، لا حاجة لنا الى ذكر ما فيه*، وانما نتتبع من كلامه ما يحتاج الى رده وابطاله كجنس ما تقدم*.

واعلم انـه قال لمـا ذكر قـول المجيب، أنه لا يجتمـع الايمـان بـالآيـات المحكـمات، وتلك الأبيات لمـا بينهما من التنـافي والتضاد، وقـال المعـترض، أقول يجتمعان بأن يفرد الله بـالعبادة*، ولا يقـدح فيه تشفعـه بأحبـاب حبه اليه*، وكيف يحكم عليه بالضلال بمجرد طلبه الشفاعة ممن هـو أهل لهـا*، كما في الحديث، أنا لها أنا لها، ومعلوم أن الضلال ضد الحق.

فـالجواب لا يخفي مـا في كلامـه من التخـليـط والتلبيس*، والعصبيـة المشوبة بالجهل المركب، حيث أنه لا يدري، ولا يدري أنه لا يدري.

وقد بيّنا فيما تقدم أن دعوة غير الله ضـلال*، وان اتخاذ الشفعـاء الذين أنكر الله تعالى، انما هو بدعائهم والالتجاء اليهم والرغبـة اليهم*، فيما أراده الراغب منهم، من الشفاعة التي لا يقدر عليها الا الله، وذلك ينافي الاسلام والايمان بلا ريب، فان طلبها من الأموات والغائبـين طلب لما لا يقـدر عليه الا الله من غير الله، وهو خلاف لما أمر به تعالى*، وارتكاب لمـا نهى عنه*، كما تقدم بيانه في معنى قـوله تعـالى: ﴿ويعبدون من دون الله مـا لا يضرهم ولا ينفعهم، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ الآية، وقـوله تعـالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونـه فلا يملكـون كشف الضر عنكم ولا تحويـلاً﴾ الآيـة، وقولـه تعالى: ﴿مـا نعبدهم الا ليقـربـونـا الى الله زلفى﴾. فـطلب الشفاعة من النبي ﷺ أو غيره بعد وفاته* وبعده عن الداعي، لا يحبـه الله تعالى ولا يرضاه، ولا رسولـه ﷺ*، وهو التـوسل الـذي ذكره العـلامة ابن القيم وشيخه*، وصرحا بأنه شرك وللعلامة ابن القيم أبيـات في المعنى وهي قوله: -

والشرك فهـو تـوسـل مقصـود الـزلفى من الـرب الـعـظيم الـشـأن

بعبـادة المخلوق من حجـر ومـن بشر ومـن قـبر ومـن أوثـان

والنـاس في هـذا ثـلاث طـوائف مـا رابـع ابـداً بـذي امكـان

احـــدا الـــطوائف مشرك بـــالهـــه   فـــاذا دعـــاه دعـــا الهـــاً ثـــان
هـــذا وثـاني هـــذه الأقســـام ذلـــك جـــاحـــد يـــدعـــو ســـوى الـــرحمـــان
هـو جـاحــد للرب يـدعــو غـيره   شركــاً وتعــطيــلاً لــه قــدمــان
هـذا وثـالث هـذه الأقسـام خــير   الخـلق ذاك خـلاصـة الانسـان
يـــدعـــو الـــه الحق لا يـدعـــو ولا   أحـــداً ســـواه قط في الأكـــوان
يـدعـوه في الـرغبـاب والـرهبـات   والحـــالات مـن سر ومن اعـــلان

وقد أنكر الله ذلك الدعـاء على من زعم في الـرسل والمـلائكة*، وذلـك كما قـال تعالى: ﴿قـل ادعوا الـذين زعمتم من دونه فـلا يملكـون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً*﴾.

قـال طائفـة من السلف كان أقـوام يدعـون المسيح وأمـه، وعُـزَيْـراً أو الملائكة فـأنكر الله ذلـك وقال هؤلاء عبيـدي، يرجون رحمتي، كما تـرجون رحمتي*، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي*، وهؤلاء الذين نزلت هذه الآيـة في إنكار دعوتهم من أوليـائه وأحبـابه*، وقـد تقدم أن الـدعاء وجميـع أنواع العبادة حق الله المحض*، كما تقدم في الآيات.

والحاصل أن الله تعالى لم يأذن لأحد أن يتخذ شفيعاً من دونه*، يسـأله ويرغب اليه ويلتجيء اليـه*، وهذه هي العبـادة ومن صرف من ذلك شيئـاً لغير الله فقد أشرك مع الله غيره*، كما دلت عليه الآيـات المحكمات* وهـذا ضد افراد الله بالعبادة*، وكيف يتصور افراد الله بالعبادة، وقد جعل العبـد ملاذاً ومفزعاً سواه*، فان هذا ينافي الافراد*، فأين ذهب عقل هذا وفهمه.

قال شيخ الاسلام رحمه الله: العبـادة اسم جامـع لكل مـا يحبه الله من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، انتهى*.

وقد تبينّ أن الدعاء مخ العبادة* وهو ما يحبه ويأمر به عباده* وأن يخلصوه له*، وقد تقدم من الآيات ما يدل على ضلال من فعل ذلك وكفره.

وبهذا يحصل الجواب عن قول المعترض، إن الشفاعة المنفية انما هي في حق الكفّار*، فنقول فمن اتخذ معبوداً سوى الله يرجوه أو يخافه*، فقد كفر*، وتأمل قوله الله تعالى: ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون، أموات غير أحياء وما يشعرون* أيّان يبعثون*، إلهكم اله واحد﴾.

فبيّن تعالى أن المخلوق لا يصلح أن يدعى من دون الله*، وأن من دعاه فقد أشرك مع الله غيره*، في الالهية*، والقرآن من أوله الى آخره يدل على ذلك*، وكذلك سنّة رسول الله ﷺ*، ولكن الملحدين محجوبون عن فهم القرآن*، كما حجبوا عن الايمان بجهلهم وضلالهم وإعراضهم*، كما أنزل في كتابه من بيان دينه الذي رضيه لنفسه، ورضيه لعباده*.

قال شيخ الاسلام، ابن تيمية رحمه الله تعالى*، وحقيقة التوحيد أن يعبد الله وحده، لا يدعى الا هو*، ولا يخشى ولا يتقى الا هو*، ولا يتوكل الا عليه، ولا يكون الدين الا له*، وأن لا يتخذ الملائكة والنبيين أرباباً، فكيف بالأئمة والشيوخ*، فاذا جعل الامام والشيخ كأنه اله يدعى مع غيبته وموته*، ويستغاث به ويطلب منه الحوائج كأنه مُشبَّهٌ بالله، فيخرجون عن حقيقة التوحيد الذي أصله شهادة ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله، انتهى.

وثبت عن النبي ﷺ، أنه قال لابن عباس*، اذا سألت فاسأل الله، واذا استعنت فاستعن بالله* فلو جاز أن يسأل رسول الله ﷺ لما قصر سؤاله

واستعانته على الله وحده*، وابن عباس أحق الناس بأن يعلمه رسول الله ﷺ ما فيه له منفعة*، فلو جاز صرف ذلك لغير الله لقال*: واسألني واستعن بي*، بل أتى ﷺ بمقام الارشاد والابلاغ والنصح لابن عمه بتجريد اخلاص السؤال والاستعانة على الله تعالى*، فأين ذهبت عقول هؤلاء الضّالّين عن هذه النصوص والله المستعان.

وقال الشيخ رحمه الله*، واعلم أن لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين، دعاء العبادة ودعاء المسألة*، وكل عابد سائل، وكل سائل عابد*، وأحد الاسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه*، واذا جمع بينهما فانه يراد بالسائل الذي يطلب لجلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ المسئول والطلب*، ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتثال الأمر، وان لم يكن هناك صيغة سؤال*، ولا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة*، أو دعاء مسألة من الرغبة والرهبة والخوف والطمع، انتهى.

فتبين أن أبيات البردة التي قدمنا الكلام عليها تنافي الحق وتناقضه* وماذا بعد الحق الا الضلال*.

وقول المعترض لا سيما والناظم على جانب عظيم من الزهد والورع والصلاح* بل وله يد في العلوم كما حكى ذلك مترجموه*، وهذا كله صار هباء منثوراً حيث لم يرضوا عنه*.

أقول هذه دعوى تحتمل الصدق والكذب*، والظاهر أنه لا حقيقة لذلك*، فانه لا يعرف الا بهذه المنظومة*، فلو قدر أن لذلك أصلاً فلا ينفعه ذلك مع تلك الأبيات*، لأن الشرك يحبط الأعمال*، كما قال تعالى: ﴿ولو أشركوا لحبط عنهم ما كان يعملون*﴾، وقد صار العمل مع الشرك هباء منثوراً*، قال سفيان بن عيينة احذروا فتنة العالم الفاجر*، والعابد

الجاهل*، فان فتنتهما فتنة لكم مفتون*، فان كان للرجل عبادة فقد فتن بأبياته كثير من الجهال*، وعبادته ان كانت فلا تمنع كونه ضالاً كما يرشد الى ذلك آخر الفاتحة*، قال سفيان بن عيينة، من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود*، ومن فسد من عبادنا، ففيه شبه من النصارى*، فالواجب علينا أن نبيّن ما في كلامه مما يسخط الله ورسوله من الشرك والغلو*، وأما الشخص وأمثاله ممن قد مات فيسعنا السكوت عنه*، لأنا لا ندري ما آل أمره اليه وما مات عليه*، وقد عرف أن كلام خالد الأزهري لا حجة فيه*، وأهل الغلو والشرك ليس عندهم الا المنامات والأحوال الشيطانية*، التي يحكيها بعضهم عن بعض*، كما قال لي بعض علماء مصر أن شيخنا مشى بأصحابه على البحر*، فقال لا تذكروا غيري*، وفيهم رجل ذكر الله فسقط في البحر*، فأخذ بيده الشيخ*، فقال: ألم أقل لكم لا تذكروا غيري، فقلت هذه الحكاية تحتمل أحد أمرين*، لا ثالث لهما*، أحدهما أن تكون مكذوبة مثل أكاذيب سدنة الأوثان*، أو أنها حال شيطانية*، وأسألك أيها الحاكي لذلك*، أيكون فيها حجة على جواز دعوة غير الله*، فأقر وقال لا حجة فيها على ذلك*، والمقصود بيان أنه ليس عند الغلاة من الحجة على ما زخرفوه*، أو حرفوه أو كذبوه*، وما قال الله وقال رسوله فهذا بحمد الله كله عليهم لا لهم*، وما حرفوه من ذلك رد الى صحيح معناه*، الذي دل عليه لفظه مطابقة وتضمنا والتزاماً*.

قال الله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً، ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون)، وذكر المعترض حكاية يقول عن غير واحد من العلماء العظام*، انه رأوا النبي ﷺ والمنظومة تنشد بين يديه*، الى قوله: لكن الخصم مانع ذلك كله بقوله إنهم كفّار.

فالجواب: أن يقال ليس هذا وجه المنع وانما وجهه، إنها حكاية مجهولة عن مجهول*، وهذا جنس اسناد الأكاذيب*، فلو قيل من هؤلاء العظام وما أسماؤهم، وما زمنهم، وما طبقتهم، لمن يدر عنهم*، وأخبار المجهولين لا تقبل شهادة، ولا رواية يقظة*، فكيف اذا كانت أحلاماً*، والمعترض كثيراً ما يحكي عن هيا بن بيا*. ثم قال المعترض على قول المجيب*، وطلب الشفاعة من النبي ﷺ ممتنع شرعاً وعقلاً، قال المعترض، من أين هذا الامتناع وما دليله من العقل والسمع.

فالجواب: أن يقال معلوم أن دليله من الجهتين لا تعرفه أنت ومن مثلك*، وإنما معرفتك في اللجاج الذي هو كالعجاج*، الذي يحوم في الفجاج*.

أما دليله من السمع فقد تقدم في آيات سورتي الزمر ويونس وغيرها*، وقد بسطنا القول في ذلك بما يغني عن اعادته*، فليرجع اليه*.

وأما دليله من العقل*، فالعقل الصحيح يقضي ويحكم بما يوافق النقل، بأن النجاة والسعادة والفلاح، وأسباب ذلك كله، لا تحصل الا بالتوجه الى الله تعالى وحده*، واخلاص الدعاء والالتجاء له وإليه*، لأن الخير كله بيده وهو القادر عليه*، وأما المخلوق فليس في يده من هذا شيء*، كما قال تعالى: ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير*﴾، فتسوية المخلوق بالخالق، خلاف العقل*، كما قال تعالى: ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون*﴾. فالذي له الخلق والأمر والنعم كلها منه*، وكل مخلوق فقير إليه لا يستغني عنه طرفة عين*، هو الذي يستحق أن يدعى ويرجى ويرغب اليه، ويرهب منه، ويتخذ معاذاً وملاذاً*، ويتوكل عليه.

وقد قال تعالى: ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله، والله هو الغني الحميد*﴾، وقال المفسرون المحققون السلفيون المتبعون في قول الله تعالى: (وعلى ربهم يتوكلون)، أي لا يرجون سواه ولا يقصدون الا اياه*، ولا يلوذون الا بجنابه*، ولا يطلبون الحوائج الا منه*، ولا يرغبون الا اليه*، ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن*، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له، لا معقب لحكمه*، وهو سريع الحساب.

ولهذا قال سعيد بن جبير، التوكل جماع الايمان*، ذكره العلماء في تفسيره*، وليتأمل ما ذكره الله عن صاحب ياسين من قوله: ﴿أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضرٍّ، لا تُغْنِ عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون*، إني إذاً لفي ضلال مبين*﴾، فهذا دليل فطري عقلي سمعي*وأما قول المعترض أن قول الناظم، ومن علومك علم اللوح والقلم، أن من بيانية.

فالجواب: أنه ليس كما قال، بل هي تبعيضية*، ثم لو كانت بيانية، فما ينفعه والمحذور بحاله*، وهو أنه يعلم ما في اللوح المحفوظ*، وقد صرح المعترض بذلك*، فقال ولا شك إنه أوتي علم الأولين والآخرين*، وعلم ما كان وما يكون.

فالجواب: هذه مضاربة لما هو صريح في كتاب الله وسنّة رسوله*، بأن الإحاطة بما في اللوح المحفوظ، علماً ليس الا لله وحده*، كذلك علم الأولين والآخرين ليس الا لله وحده*، الا ما أطلع الله عليه نبيه في كتابه*، كما قال الله تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من عمله، الا بما شاء وسع كرسيّه السموات والأرض*﴾، فالرجل في عمي عن قول الله تعالى بشيء من علمه، وقال تعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير* وأن الله قد أحاط

بكل شيءٍ علماً﴾، وقد تقدم لهذه الآيات نظائر*، فإحاطة العلم بالموجودات والمعلومات التي وجدت واستوجدت لله وحده*، لم يجعل ذلك لأحد سواه*.

وقال تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها* قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو﴾، فأسند علم وقت الساعة الى ربه بأمره، كقوله تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها*، فيم أنت من ذكراها*، الى ربك منتهاها*﴾، وأمثال هذه الآيات مما يدل على أن الله تعالى اختص بعلم الغيب كله إلا ما استثناه بقوله: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء*﴾، ومن تبعيضية ها هنا بلا نزاع*، وقد قال الخضر لموسى عليهما السلام*، ما نقص علمي وعلمك في جانب علم الله الا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر*.

فتأمل هذا وتدبّر*، وأما قول المعترض وتأويله لقوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله﴾، فتأويل فاسد*، ما قاله غيره ولا يقوله مسلم*، من أنه يعلم الغيب بتعليم الله له*، والمنفي في الآية أن يعلمه بنفسه بدون أن يعلمه الله ذلك*، فما أجرأ هذا الجاهل على هذا التأويل*، وما أجهله بالله وبكتابه*، فيقال في الجواب لا ينفعك هذا التأويل الفاسد*، اذ لو كان أحد يعلم جميع الغيب بتعليم الله*، لصدق عليه أن يقال هذا يعلم الغيب كله الذي يعلمه الله*، فما بقي على هذا، لقصر علم الغيب على الله في هذه الآية معنى*، وحصل الاشتراك نعوذ بالله من الافتراء على الله*، وعلى كتابه وصرف ما لم ينزل الله به سلطاناً. وأما قوله في قول الناظم، ان لم تكن في معادي آخذاً بيدي. ان الأخذ باليد هي الشفاعة.

فالجواب: أن حقيقة هذا القول وصريحه طلب ذلك من غير الله*، فلو

صح هذا الحمل*، فالمحذور بحاله*، لما قد عرفت من الاستغاثة بـالأموات والغائبين، والاستشفاع بهم في أمر هـو من الله* ممتنع حصـوله من غـير الله لكونه تألهاً وعبـادة، وقد أبـطله القرآن* فهـذا المعترض الجـاهل يـدور على منازعة الله في حقه وملكه*، وشمول علمـه*، والله يجزيه بعلمه.

وأما قوله: ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو﴾، فقيل المراد بهـا الخمس المذكورة في سورة لقمان وهـذا قبل أن يـطلع نبيه عليهـا*، والا فقد ذكر عامة أهل العلم، أنـه لم يتوفـاه الله تعالى حتى علّمـه الله كل شيء حتى الخمس.

فـالجواب: أنـظر الى هذا المفـتري الجـاهـل البليـد*، كيف اقتفى أثـر صاحب الأبيات بجميع ما اختلقـه وافتراه*، وأكـثر من الأكاذيب عـلى أهل العلم*، فان قوله ذكر عامة أهل العلم أنه لم يتوفاه الله حتى علّمه كل شيء حتى الخمس*، فحاشا أهـل العلم الذين يعـرفون بـأنهم من أهل العلم*، من هذه المقالـة*، وعامـة أهل العلم بـل كلهم على خـلاف ما ادعـاه سلفاً وخلفاً*.

قال أبو جعفر محمد بن جرير رحمه الله في تفسير الكبـير الذي فـاق على التفاسير، ابتدأ تعالى ذكر الخبر عن علمه بمجيء الساعة، فقال تعالى: ﴿ان الله عنـده علم الساعـة﴾، والتي تقوم فيهـا القيـامـة*، لا يعلم ذلـك أحـد غـيره*، ﴿وينـزل الغيث﴾ من السماء لا يقـدر عـلى ذلـك أحـد غـيره*، ﴿ويعلم مـا في الأرحام﴾ الأنـاث ﴿وما تـدري نفس مـاذا تكسب غـداً﴾، يقول ومـا تعلم نفس حيّ مـاذا تعمـل في غـد، ﴿ومـا تـدري نفس بـأي أرض تمـوت﴾ يقول ومـا تعلم نفس حيّ بأي أرض يكـون مـوتهـا ﴿ان الله عليم خبير﴾، يقول إن الـذي يعلم ذلك كله هـو الله دون كل أحـد سواه وذكـر

سنده عن مجاهد* ﴿ان الله عنده علم الساعة﴾، قال، جاء رجل الى النبي ﷺ*، فقال امرأتي حبلى*، فأخبرني ماذا تلد، وبلادنا جدبة فاخبرني متى ينزل الغيث*، وقد علمت متى ولدت، فمتى أموت*، فأنزل الله ﴿ان الله عنده علم الساعة﴾، الى آخر السورة، قال: فكان مجاهد يقول* هن مفاتيح الغيب التي قال الله: ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو*﴾.

وأخرج بسنده عن قتادة، ﴿ان الله عنده علم الساعة﴾، الآية. خمس من الغيب، استأثر الله بهن*، فلم يطلع عليهن ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً*، وبسنده عن عائشة رضي الله عنها، من قال إن أحداً يعلم الغيب الا الله فقد كذب وأعظم الفرية على الله، قال تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله*﴾، وبالسند عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: مفاتيح الغيب خمس*، لا يعلمهن الا الله*، ﴿ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام﴾ الآية. ثم قال لا يعلم ما في غد الا الله*، ولا يعلم أحد متى ينزل الغيث الا الله*، ولا يعلم أحد متى قيام الساعة الا الله*، ولا يعلم أحد ما في الأرحام الا الله*، ولا تدري نفس بأي أرض تموت.

وبسنده عن مسروق، عن عائشة، قالت: من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب. ثم قرأت ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ*، قال خمس لا يعلمهن الا الله* ﴿ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث﴾ الآية، انتهى ما ذكره ابن جرير.

وذكر البغوي في تفسير حديث ابن عمر وعائشة المتقدم، ثم قال: وقال

الضحاك ومقاتل*، مفاتيح الغيب خزائن الأرض*، وقال عطاء، ما غاب عنكم من الثواب*، وقيل انقضاء الأجل*، وقيل أحوال العباد من السعادة والشقاوة*، وخواتيم أعمالهم*، وقيل ما لم يكن بعد أن يكون أم لا يكون وما لا يكون كيف يكون وانتهى.

قلت ولا يعرف عن أحد من أهل العلم خلاف ما دلت عليه هذه الآيات المحكمات*، ونعوذ بالله من مخالفة ما أنزل الله في كتابه*، وما أخبر به عن نفسه*، أو أخبر به رسوله ﷺ، وأجمع عليه العلماء فان الله استأثر بعلمه عن خلقه*، ووصف نفسه بأنه علّام الغيوب*، ونعوذ بالله من حال أهل الافتراء والتكذيب.

وأما قوله ولو أن عبارات أهل العلم مثل البيضاوي وأبي السعود والقسطلاني*، وأمثالهم تجدي اليكم شيئاً لذكرناها*، لكنها تمحى بلفظة واحدة*، وهي أنهم كلهم كفّار*، فلا نقبل منهم أحداً، ومن هذه حاله فلا حيلة به.

فالجواب: أنه ليس للبيضاوي ومن ذكر*، عبارات تخالف ما قاله السلف والعلماء في معنى الآيات*، ومعاذ الله أن يقول المجيب*، إن هؤلاء كفّار*، ولا يوجد عن أحد من علماء المسلمين*، أنه كفر أحداً قد مات من هذه الأمّة*، فمن ظاهره الاسلام، فلو وجد في كلامه زلة من شرك أو بدعة*، فالواجب التنبيه على ذلك*، والسكوت عن الشخص*، لما تقدم من أنّا لا ندري ما خاتمته، وأما هؤلاء الذين ذكرهم من المفسرين*، فانهم من المتأخرين الذين نشأوا في اغتراب من الدين*، والمتأخرون يغلب عليهم الاعتماد على عبارات أهل الكلام مخالفة لما عليه السلف*، وأئمة الاسلام من الارجاء ونفى حكمة الله*، وتأويل صفات الله*، وسلب معانيها ما

يقـارب ما في كشـاف الزمخشري*، والأرجـاء والجبر يقـابل مـا فيه من نفي القدر*، وكلاهما في طرفي نقيض*، وكل واحد خـالف ما عليـه أهل السنّـة والجماعة في ذلك*، ومعلوم أن صاحب الكشاف أقدم من هؤلاء الثـلاثة*، وأرسـخ قدمـاً منهم في فنون من العلم*، ومـع هـذا فقـال شيـخ الاسـلام البلقيني*، استخـرجت ما في الكشـاف من دسائس الاعـتزال بـالمنـاقيش*، وقال أبو حيان، وقد مدح الكشاف ما فيه من لطيف المعنى، ثم قال: -

ولـكـنــه فــيــه مجـال لـنـاقــد ... وزلات سـوء قد اخـذن المخـانقـا
فيثبت موضوع الاحـاديث جاهـلاً ... ويعـزو الى المعصوم مـا ليس لائقاً
وينسب إبـداء المعـاني لـنفـســه ... ليـوهم أغـماراً وان كــان سـارقــاً
ويسهب في المعنى الـوجيـز دلالــة ... بتكثـير الفـاظ تسمى الشقـاشقـا
يقــوّل فيها الله مــا ليس قـائـلاً ... وكــان محبـاً في المخــاطب وامقــا
ويـشـتـم أعــلام الأئـمــة ضـلة ... ولا سيــما ان ولجــوه المضــائـقــا

الى أن قال:

لئـن لم تــداركــه مـّن الله رحمــة ... لسـوف يـرى للكـافـرين مــرافقـا

فاذا كان هذا في تفسير مشهور* وصاحبه معروف بالذكاء والفهم*، فما دونـه من المتأخـرين أولى بأن لا يتلقى من كـلامهم بالقبـول*، الا ما وافق تفسير السلف*، وقام عليه الدليـل*، وهذا المعـترض من جهله يحسب كل بيضاء شحمة*، يعظم المفضول من الاشخاص والتصانيف*، ولا يعرف ما هو الأفضل*، ولو كان له أدنى مسكة من فهم ومعرفة للعلماء ومصنفاتهم*، لعلم أن أفضـل ما في أيـدي الناس من التفـاسير*، هـذه الثلاثـة التي نقلنا منها*، تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري*، وتفسير الحسين بن مسعود البغـوي*، وتفسير العـماد اسـماعيـل ابن كثـير*، فهـذه أجـل التفـاسـير*،

ومصنفوها أئمة مشهورون*، أهل سنّة ليسوا بجهمية ولا معتزلة ولا قدرية ولا جبرية ولا مرجئة بحمد الله*، وأكثر ما في هذه التفاسير الأحاديث الصحيحة*، وآثار الصحابة*، وأقوال التابعين وأتباعهم*، فلا يرغب عنها الا الجاهلون الناقصون المنقوصون والله المستعان.

والمصنفون في التفسير وغيره غير ما ذكر البيضاوي وأبي السعود البحر لأبي حيان لأنه كثير ما ينقله في تفسيره عن السلف والأئمة*، وكذلك تفسير الخازن*، وبالجملة فمن كان من المصنفين أبعد عن تقليد المتكلفين*، وذكر عباراتهم*، ويعتمد أقوال السلف فهو الذي ينبغي النظر إليه*، والرغبة فيه*، وعلى كل حال فليس في تفسير البيضاوي وأبي السعود وشرح القسطلاني ومواهبه*، ما ينفع هذا الجاهل المفتري*، وكل يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله ﷺ*.

وقول المعترض على قول المجيب*، علماؤهم شر من تحت أديم السماء فيقال: هل ورد هذا الحديث في أهل العراق، فهم على عهد النبي ﷺ كفّار مجوس*، أو فيما يأتي*، فهذه شناعة على غالب علماء الأمة*، ومنهم الامام أبو حنيفة والامام أحمد وأمثالهم.

فالجواب: أن هذا كلام من لا يعقل ولا يفهم شيئاً*، ولا يفرق بين أهل السنّة والجماعة وأهل البدعة والضلالة*، ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ، قال: لا تقوم الساعة حتى يعبد فئام من أمّتي الأوثان*، ولا تزال طائفة من أمّتي على الحق ظاهرين*، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك*، رواه البرقاني في صحيحه.

وقد أخبر النبي ﷺ أن أمّته ستفترق كما افترقت اليهود والنصارى*، فاليهود افترقت احدى وسبعين*، والنصارى على اثنتين وسبعين*، وهذه

الأمة على ثلاث وسبعين فرقة*، كلها في النار الا واحدة وهي الجماعة*، وأول من فارق الجماعة في عهد الصحابة رضي الله عنهم، الخوارج* قاتلهم علي رضي الله عنه بالنهروان*، والقدرية في أيام ابن عمر وابن عباس*، وأكثر الصحابة موجودون*، ومن دعاتهم معبد الجهني*، وغيلان القدري الذي قتله هشام بن عبد الملك*، وكذلك الغلاة في علي، الذي خدّ لهم على الأخاديد*، وحرقهم بالنار*، ومنهم المختار بن أبي عبيد الذي قتله مصعب بن الزبير*، ادعى النبوة، وتبعه خلق كثير.

ثم ظهرت فتنة الجهمية وأول من أظهرها الجعد ابن درهم*، قتله خالد بن عبدالله القسري*، والصحابة رضي الله عنهم والتابعون، والأئمة متوافرون وقت ظهور مبادي هذه البدع*، لم يلحقهم من ضلال هذه الفرق شناعة ولا غضاضة*، لأنهم متمسكون بالكتاب والسنّة*، منكرون لما خالف الحق*، وصح من حديث أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: لا يأتي على الناس زمان ولا والذي بعده شر منه*، حتى تلقوا ربكم*، سمعته من نبيكم ﷺ*، وظهرت بدعة جهم بن صفوان في زمن أبي حنيفة وأنكرها، وناظرهم*، وانتشرت في زمن الامام أحمد رحمه الله*، والفقهاء وأهل الحديث، وامتحن الامام أحمد*، فتمسك بالحق وصبر*، وصنف العلماء رحمهم الله المصنفات الكبار في الرد على الجهمية القائلين بخلق القرآن*، المعطلين لصفات الملك الديان، كالامام أحمد في رده المعروف*، وابنه عبد الله وعبد العزيز الكناني في كتاب الحيده*، وأبي بكر الأثرم*، والخلال وعثمان بن سعيد الدارمي*، وامام الأئمة محمد بن خزيمة*، واللالكائي وأبي عثمان الصابوني*، وقبلهم وبعدهم ممن لا يحصى*، وهذا كله انما هو القرون الثلاثة المفضلة، ثم بعدها ظهرت كل بدعة الفلاسفة*، وبدعة الرافضة*، وبدعة المعتزلة*، وبدعة المجبرة*،

وبدعة أهل الحلول*، وبدعة أهل الاتحاد*، وبدعة الباطنية الاسماعيلية*، وبدعة النصيرية والقرامطة ونحوهم*.

وأما أهل السنّة والجماعة فيردون بدعة كل طائفة من هؤلاء الطوائف بحمد الله*، فالأئمة متمسكون بالحق في كل زمان ومكان*، والبلد الواحد من هذه الأمصار*، يجتمع فيها أهل السنّة وأهل البدعة*، وهؤلاء يناظرون هؤلاء ويناضلونهم بالحجج والبراهين*، وظهر معنى قول النبي ﷺ*، خير القرون قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم*، ثم أنها تخلف من بعدهم خلوف*، يقولون ما لا يفعلون*، ويفعلون ما لا يؤمرون*، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن*، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن*، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن*، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل*.

وقال ﷺ، بدأ الاسلام غريباً وسيكون غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء الذين يصلحون اذ فسد الناس، وفي رواية يصلحون ما أفسد الناس*.

وقد صنّف العلماء رحمهم الله في بيان الاثنتين والسبعين فرقة عدة مصنفات وبيّنوا ما تنتحله كل فرقة من بدعتها المخالفة لما عليه أهل الفرقة الناجية*، وليس على الفرقة الناجية شناعة ولا نقص في مخالفة هذه الفرق كلها*، وانما ظهر فضل هذه الفرقة بتمسكها بالحق*، وصبرها على مخالفة هذه الفرق الكثيرة*، والاحتجاج بالحق ونصرته*، وما ظهر فضل الامام أبو حنيفة والامام أحمد*، ومن قبلهما من الأئمة ومن بعدهما*، الا بتمسكهم بالحق ونصرته*، وردهم الباطل*، وما ضر شيخ الاسلام أحمد بن تيمية وأصحابه، حين أجلب عليهم أهل البدع* وآذوهم بل أظهر الله بهم السنّة* وجعل لهم لسان صدق في الأمّة*، وكذلك من قبلهم ومن بعدهم*، كشيخنا شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى*، لما

دعا الى التوحيد*، وبيّن أدلته*، وبيّن الشرك وما يبطله*، وفيه قال الامام العلامة الأديب أبو بكر حسين بن غنام رحمه الله تعالى: ـ

وعاد به نهج الغواية طامسا وقد كان مسلوكاً به الناس ترتع
وجرّت به نجد ذيول افتخارها وحق لها بالألمعي ترفع
فآثاره فيها سوام سوافر وانواره فيها تضيء وتسطع

فهذا المعترض لو تصور وعقل*، لتبيّن له أن ما احتج به، ينقلب حجة عليه*، وقول المعترض وان كان قد ورد في حق أهل الحرمين، فهذا ظاهر البطلان*، اذ هي مهبط الوحي ومنبع الايمان*، ولو قيل إنّ هذا الحديث وأمثاله، ورد في ذم نجد وأهلها*، فقد ورد في ذمهم أحاديث كثيرة شهيرة منها قوله ﷺ، لا يزالون في شر من كذابهم الى يوم القيامة.

فالجواب: أن نقول*، الأحاديث التي وردت في غربة الدين وحدوث البدع وظهورها لا تختص بمكة والمدينة*، ولا غيرهما من البلاد*، والغالب أن كل بلد لا تخلو من بقايا متمسكين بالسنّة*، فلا معنى لقوله وان كان قد ورد في حق أهل الحرمين*، والواقع يشهد لما قلنا، وقد حدث في الحرمين*، في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم*، بل وفي وقت الخلفاء الراشدين*، ما هو معروف عند أهل العلم مشهور في السير والتاريخ*، وأول ذلك مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم وقعة الحرة المشهورة*، ومقتل ابن الزبير في مكة*، وما جرى في خلال ذلك من الفتن وصارت الغلبة في الحرمين وغيرها لأهل الأهواء*، فإذا كان هذا وقع في خير القرون*، فما ظنك فيما بعد حين اشتدت غربة الاسلام*، وعاد المنكر معروفاً والمعروف منكراً*، فنشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير، وأما قوله: اذ هي مهبط الوحي ومنبع الايمان.

فالجواب: أن نقول مهبط الوحي في الحقيقة، قلب رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين* على قلبك لتكون من المنذرين﴾، وقال تعالى: ﴿بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم*﴾، فهذا محل الوحي ومستقره، وقوله ومنبع الايمان*، الايمان ينزل به الوحي من السماء*، لا ينبع من الأرض*، ومحله قلوب المؤمنين، وهذه السورة المكية في القرآن معلومة*، التي نزلت على النبي ﷺ*، وأكثر من في مكة المشركون*، وفيها ذمهم والرد عليهم كقوله: ﴿وكذب به قومك وهو الحق﴾، وقوله ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه﴾، وقوله: ﴿فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾، ونحو هذه الآيات، كما في فصلت والمدثر وغيرهما*.

ثم هاجر النبي ﷺ وأصحابه الى المدينة*، وأهل الشرك لم يزالوا بها*، ومنعوا رسول الله ﷺ وأصحابه من دخولها بالوحي*، وقاتلوهم ببدر وأحد والخندق*، وهم كانوا آخر العرب دخولاً في الاسلام*، حاشا من هاجر وكل هذا بعد نزول الوحي*، ونحن بحمد الله لا ننكر فضل الحرمين*، بل ننكر على من أنكره، ولكن نقول الأرض لا تقدس أحداً وانما يقدس المرء علمه وعمله، فالمحل الفاضل قد يجتمع فيه المسلم والكافر، وأهل الحق وأهل الباطل كما تقدم*، فأهل الحق يزدادون بالعمل الصالح في محل الفضل لكثرة ثوابه*، وأهل الباطل لا يزيدهم ذلك الا شراً*، تعظم فيه سيئاتهم*، كما قال تعالى في حرم مكة: ﴿ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم*﴾، فاذا كان هذا الوعيد في الارادة فعمل السوء أعظم*، فالمعول عليه هو الايمان والعمل الصالح ومحله قلب المؤمن*، والناس مجزيون بأعمالهم*، ان خيراً فخيرٌ وان شراً فشر*، وقوله ولو قيل ان هذا الحديث ورد في ذم نجد وأهلها الى آخره.

فأقول الذم انما يقع في الحقيقة على الحال لا على المحل*، والأحاديث التي وردت في ذم نجد*، كقوله ﷺ، اللهم بارك لنا في يمننا*، اللهم بارك لنا في شامنا*، قالوا وفي نجدنا، قال: هناك الزلازل والفتن*، وبها يطلع قرن الشيطان*، قيل إنه أراد نجد العراق*، لأن في بعض ألفاظه ذكر المشرق*، والعراق شرقي المدينة*، والواقع يشهد له لا نجد الحجاز*، ذكره العلماء في شرح هذا الحديث*، فقد جرى في العراق من الملاحم والفتن ما لم يجر في نجد الحجاز*، يعرف ذلك من له اطلاع على السير والتاريخ*، كخروج الخوارج بها الذين قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب*، وكمقتل الحسين*، وفتنة ابن الاشعث*، وفتنة المختار وقد ادعى النبوة*، وقتال بني أمية لمصعب بن الزبير وقتله*، وما جرى في ولاية الحجاج بن يوسف من القتال وسفك الدماء وغير ذلك* مما يطول عهده وعلى كل حال فالذم يكون في حال دون حال، ووقت دون وقت بحسب حال الساكن*، لأن الذم انما يكون للحال دون المحل*، وان كانت الأماكن تتفاضل وقد تقع المداولة فيها*، فان الله يداول بين خلقه حتى في البقاع*، فمحل معصية في زمن قد يكون محل طاعة في زمن آخر وبالعكس، وأما قول المعترض منها قوله ﷺ لا يزالون في شر من كذابهم

فالجواب: ان هذا من جملة كذبه على رسول الله ﷺ*، وجهله بالعلم لا يميز بين الحديث وغيره*، وهذا الكلام ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه*، في نفر من بني حنيفة*، سكنوا الكوفة في ولاية ابن مسعود عليها*، وكانوا في مسجد من مساجدها*، فسمع منهم كلمة تشعر بتصديق مسيلمة*، فأخذهم عبد الله بن مسعود وقتل كبيرهم ابن النواح*، وقال في الباقين لا يزالون في بلية من كذابهم*، يعني ذلك النفر فلا يذم نجد بنفر أحدثوا حدثاً في العراق*، وقد أفنى الله كل من حضر مسيلمة في القرن

الأول*، ولم يبق بنجد من يصدق مسيلمة الكذاب*، بل من كان في أواخر عهد الصحابة رضي الله عنهم*، ومن بعدهم بنجد يكفرون مسيلمة ويكذبونه*، فلم يبق بنجد من فتنة مسيلمة لا عين ولا أثر*، فلو ذم نجد بمسيلمة بعد زواله وزوال من يصدقه لذمّ اليمن*، بخروج الأسود العنسي*، ودعواه النبوة*، وما ضر المدينة سكن اليهود فيها*، وقد صارت مهاجر رسول الله ﷺ وأصحابه*، معقل الاسلام*، وما ذمت مكة بتكذيب أهلها الرسول ﷺ*، وشدة عداوتهم له بل هي أحب أرض الله اليه*، فاذا كان الأمر كذلك فأرض اليمامة لم تعص الله*، وانما ضرت المعصية ساكنيها بتصديقهم كذابهم*، وما طالت مدتهم على ذلك الكفر بحمد الله*، فطهر الله تلك البلاد منهم ومن سلم منهم من القتل دخل في الاسلام*، فصارت بلادهم بلاد اسلام بنيت فيها المساجد*، وأقيمت الشرائع*، وعبد الله فيها في عهد الصحابة رضي الله عنهم وبعدهم ونفر كثير منهم*، مع خالد بن الوليد*، لقتال العجم*، فقاتلوا مع المسلمين فنالت تلك البلاد من الفضل ما نال غيرها من بلاد أهل الاسلام*، على أنها تفضل على كثير من البلاد*، بالحديث الذي رواه البخاري في صحيحه*، ان النبي ﷺ، قال وهو بمكة لأصحابه، أريت دار هجرتكم فوصفها*، ثم قال: فذهب وهلي الى أنها اليمامة أو يثرب*، ورؤيا النبي ﷺ حق وكفى بهذا فضلاً لليمامة وشرفا لها على غيرها*، فان ذهاب وهله ﷺ في رؤياه اليها لا بد أن يكون له أثر في الخير يظهر*، فظهر ذلك الفضل بحمد الله في القرن الثاني عشر*، فقام الداعي يدعو الناس الى ما دعت اليه الرسل من افراد الله بالعبادة*، وترك عبادة ما سواه*، واقامة الفرائض والعمل بالواجبات*، والنهي عن مواقعة المحرمات*، وظهر فيها الاسلام أعظم من ظهوره في غيرها في هذه الأزمان*، ولولا ذلك ما سب هؤلاء نجد واليمامة بمسيلمة*.

اذا عـرف ذلك فليعلم أن مسيلمـة وبنو حنيفـة انما كفـروا بجحـودهم بعض آية من كتاب الله جهـلًا أو عناداً*، وهـذا المعترض وأمثـاله جحـدوا حقيقة ما بعث الله رسله من التوحيد الذي دلت عليه الآيـات المحكمات*، التي تفوت الحصر*، وعصوا رسول الله ﷺ بارتكـاب ما نهى عنـه من الغلو والشرك*، فجوزوا أن يدعى مع الله غيره*، وقد نهى الله ورسوله عن ذلك في أكثر سور القـرآن وجوزوا أن يستعـان بغير الله*، وقـد نهى الله ورسولـه عن ذلك*، وجوزوا الالتجاء الى الغائبـين والأموات والـرغبة اليهم*، وقـد نهى الله ورسـولـه عن ذلـك أشـد النهي*، وجعلوا لله شريكـاً في ملكـه وربـوبيته، كـما جعلوا له شريكـاً في إلهيته، وجعلوا لـه شريكاً في إحـاطـة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتهـا وقد قـال تعالى مبينـاً لما اختص بـه من شمول علمه: ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد، وكل شيء عنده بمقدار*، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾، إلى قوله: ﴿لـه دعـوة الحق والـذين يـدعـون من دونـه لا يستجيبـون لهم بشيء الا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه﴾ الآيات.

وهذه الأصول كلها في الفاتحة*، يبيّن الله تعالى أنه هو المختص بذلـك دون كـل من سواه*، ففي قـوله الحمـد لله رب العالمـين*، اختصـاص الله بالحمد لكماله في ربوبيته والهيته وملكه وشمول علمه وقدرته وكـماله في ذاتـه وصفاته ﴿رب العالمين﴾، هـو ربهم وخالقهم ورازقهم ومليكهم، والمتصرف فيهم بحكمته ومشيئته*، ليس ذلك إلا له*، ﴿مـالك يـوم الدين﴾*، فيـه تفرده بالملك كقوله: ﴿يـوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمـر يومئـذ لله)*، وقوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾*، فيه قصر العبادة عليـه تعالى بجميـع أفرادها*، وكذلك الاستعانة، وفي اياك نستعين أيضاً توحيد الربوبية*.

وهذه الأصول أيضاً في ﴿قل أعوذ برب الناس*﴾، فهو ربهم ورازقهم والمتصرف فيهم والمدبر لهم*، ﴿ملك الناس﴾ هو الذي له الملك كما في الحديث الوارد في الأذكار*، لا اله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير*، وقوله: ﴿اله الناس*﴾، هو مألوههم ومعبودهم لا معبود لهم سواه*، فأهل الايمان خصّوه بالآلهية*، وأهل الشرك جعلوا له شريكاً يُؤلهونه بالعبادة*، كالدعاء والاستعانة والاستغاثة والالتجاء والرغبة والتعلق عليه ونحو ذلك*.

وفي ﴿قل يا أيها الكافرون*﴾، براءة النبي ﷺ من الشرك والمشركين*، ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾*، الى قوله: ﴿لكم دينكم ، ولي دين﴾، فهذا هو التوحيد العملي وأساسه البراءة من الشرك والمشركين باطناً وظاهراً.

وفي ﴿قل هو الله أحد﴾، توحيد العلم والعمل ﴿قل هو الله أحد﴾، يعني هو الله الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا ند ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ في الاثبات، الا على الله عزّ وجلّ*، لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله*، وقوله ﴿الله الصمد*﴾، قال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه، يعني الذين يصمد الخلائق اليه في حوائجهم ومسائلهم.

قلت وفيه توحيد الربوبية وتوحيد الآلهية، وقال الأعمش عن شقيق عن أبي وائل*، الصمد السيد الذي قد انتهى سؤدده، وقال الحسن أيضاً الصمد الحي القيوم الذي لا زوال له*، وقال الربيع بن أنس هو الذي لم يلد ولم يولد*، كأنه جعل ما بعده تفسيراً له*، وقال سفيان بن منصور عن مجاهد الصمد المصمت الذي لا جوف له*، قال أبو القاسم الطبراني في كتاب السنّة*، وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عزّ وجلّ، وقال

مجاهد: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾، يعني لا صاحبة له*، وهذا كما قال تعالى: ﴿بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم*﴾، أي هو مالك كل شيء وخالقه، فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه*، أو قريب يدانيه تعالى وتقدس وتنزه.

قلت فتدبر هذه السورة وما فيها من توحيد الآلهية والربوبية، وتنزيه الله عن الشريك والشبيه والنظير*، وما فيها من مجامع صفات كماله ونعوت جلاله*، ومن له بعض تصور يدرك هذا بتوفيق الله*، ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾.

وأما قول المعترض المجيب*، ونوع الشرك جرى في زمن شيخ الاسلام ابن تيمية*، رحمه الله تعالى، أقول هذه البردة متقدمة على زمن شيخ الاسلام ومع هذا لم ينقل عنه فيها كلمة واحدة.

فالجواب: تقدم البردة على زمن شيخ الاسلام، ان كان كذلك فماذا يجدي عليه*، وما الحجة منه على جواز الشرك*، وأيضاً فشهادته هذه على شيخ الاسلام غير محصورة فلا تقبل*، وهو لم يطلع الا على النزر اليسير من كلام شيخ الاسلام*، ولم يفهم معنى ما أطلع عليه*، وهو في شق وشيخ الاسلام في شق*، وليس في كلام شيخ الاسلام الا ما هو حجة على هذا المعترض*، لكنه يتعلق في باطله بمثل خيط العنكبوت*، فان كان يقنعه كلام شيخ الاسلام رحمه الله*، المؤيد بالبرهان فقد تقدم من كلامه ما يكفي ويشفي في تميز الحق من الباطل*، وكلامه رحمه الله في أكثر كتبه يبيّن هذا الشرك وينكره ويرده، كما رد على البكري حين جوز الاستغاثة بغير الله* ولا يشك من له أدنى مسكة من عقل وفهم أن كلام صاحب البردة داخل تحت

كـلام شيخ الاسـلام في الرد عليـه والانكار*، وأنـا أورد هنا جـواباً لشيـخ الاسـلام عن سؤال من سألـه عن نوع هـذا الشرك وبعض افـراده*، فـأتى بجواب عام شامل كاف واف*.

قال السائل: ما قول علماء المسلمين فيمن يستنجد بأهل القبور ويطلب منهم ازالـة الألم*، ويقول يـا سيدي أنـا في حسبـك وفيمن يستلم القـبر*، ويمرغ وجهه عليه ويقول قضيت حاجتي ببركة الله وبركة الشيخ ونحو ذلك.

الجـواب: الحمـد لله رب العالمين*، الـدين الـذي بعث الله بـه رسله وأنزل به كتبه وهو عبـادة الله وحده لا شريـك له واستعـانته والتـوكل عليـه ودعاءه بجلب المنافع ودفع المضار، كما قال تعالى: ﴿انّا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبـد الله مخلصاً لـه الدين* الا لله الـديـن الخالص﴾ الآيـات، وقال تعالى: ﴿وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً﴾، وقـال تعالى: ﴿وادعـوا الله مخلصين له الـدين﴾. وقولـه: قل ادعـوا الذين زعمتم من دونـه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾، الآيات.

قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيز أو الملائكة، قال تعالى: ﴿هؤلاء الذين تدعون عبادي يرجون رحمتي*، كما ترجون رحمتي*، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي*﴾، فاذا كان هذا حال من يـدعـو الانبياء والملائكة فكيف بمن دونهم، قال تعالى: ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾ الآية، وقال: ﴿قـل ادعوا الـذين زعمتم من دون الله لا يملكـون مثقال ذرة في السمـوات ولا في الأرض، ومـا لهم فيهـما من شرك وما له منهم من ظهـير*، ولا تنفع الشفـاعة عنـده الا لمن أذن له﴾*، فبيّن سبحانه أنه من دعـا من دون الله من جميع المخلوقـات الملائكـة والبشر وغـيرهم*، أنهم لا يملكون مثقـال ذرة في ملكـه* وأنـه ليس لـه شريـك في

ملكه، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير*، وأنه ليس له عون كما يكون للملك أعوان وظهراء*، وان الشفعاء لا يشفعون عنده الا لمن ارتضى*، فنفى بذلك وجوه الشرك*، وذلك أن من دعي من دونه، إما أن يكون مالكاً، وإما أن لا يكون مالكاً*، واذا لم يكن مالكاً، فإما أن يكون شريكاً، وإما أن لا يكون شريكاً*، واذا لم يكن شريكاً، فإما أن يكون معاوناً، وإما أن يكون سائلاً طالباً، فأما الرابع، فلا يكون الا من بعد اذنه*، كما قال تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه﴾، وكما قال تعالى: ﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾، وقال تعالى: ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء، قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون، قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم اليه ترجعون﴾، وقال تعالى: ﴿ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع﴾، وقال تعالى: ﴿ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله﴾، الى قوله: ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً، أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون﴾.

فبيّن سبحانه أن من اتخذ الملائكة والنبيين أرباباً كان كافراً*، فكيف بمن اتخذ من دونهم من المشائخ وغيرهم أرباباً*، فلا يجوز أن يقول لملك ولا لنبي ولا لشيخ سواء كان حياً أم ميتاً*، اغفر ذنبي وانصرني على عدوي أو اشف مريضي أو ما أشبه ذلك*، ومن سأل ذلك مخلوقاً كائناً من كان فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء والتماثيل التي يصورونها على صورهم*، ومن جنس دعاء النصارى للمسيح وأمه.

قال تعالى: وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني

وأمي آلهين من دون الله؟ قال: سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علّام الغيوب﴾، والآية الثانية، وقال: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون*﴾..

وإن قال أنا أسأله لأنه أقرب مني الى الله ليشفع لي لأني أتوسل الى الله به، كما يتوسل الى السلطان بخواصه وأعوانه*، فهذا من أفعال المشركين والنصارى، فانهم يزعمون أنهم يتخذون أحبارهم ورهبانهم شفعاء يستشفعون بهم في مطالبهم*، ولذلك أخبر الله عن المشركين، أنهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى.

وقد قال سبحانه: ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء﴾، الى قوله: ﴿ترجعون*﴾، وقال: ﴿ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون﴾، وقال: ﴿من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه﴾.

فبيّن الفرق بينه وبين خلقه*، فان من عادة الناس أن يستشفعوا الى الكبير بمن يكرم عليه*، فيسأله ذلك الشافع فيقضي حاجته، إما رغبة وإما رهبة وإما حياء وإما غير ذلك*، فالله سبحانه لا يشفع عنده أحد حتى يأذن هو للشافع*، فلا يفعل الا ما يشاء، وشفاعة الشافع عن اذنه والأمر كله لله*، فالرغبة يجب أن تكون اليه، كما قال تعالى: ﴿فاذا فرغت فانصب* والى ربك فارغب﴾، والرهبة تكون منه، قال تعالى: ﴿واياي فارهبون﴾، وقال: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون*﴾، وقد أمرنا أن نصليَ على النبي ﷺ في الدعاء، وجعل ذلك من أسباب اجابة دعائنا.

وقول كثير من الضلال هذا أقرب الى الله مني وأنا بعيد منه*، لا يمكن

أن ندعوه الا بهذه الواسطة ونحو ذلك*، هو من قول المشركين، والله تعالى يقول: ﴿وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان*﴾. وقد روى أن الصحابة رضي الله عنهم، قالوا: يا رسول الله ربنا قريب فنناجيه*، أم بعيد فنناديه*، فنزلت الآية.

وقد أمر الله العباد كلهم بالصلاة*، ومناجاته، وأمر كلاً منهم أن يقول: ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾.

ثم يقال لهذا المشرك، أنت اذا دعوت هذا، فان كنت تظن أنه أعلم بحالك*، أو يقدر على سؤالك*، أو أرحم بك من ربك*، فهذا جهل وضلال وكفر*، وان كنت تعلم أن الله تعالى أعلم وأقدر وأرحم*، فلماذا عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره*، وان كنت تعلم أنه أقرب الى الله منك وأعلى منزلة عند الله منك*، فهذا حق أريد به باطل*، فانه اذا كان أقرب منك وأعلى درجة*، فان معناه أن يثيبه ويعطيه*، ليس معناه أنك اذا دعوته كان الله عند قضاء حاجتك أعظم مما يقضيها اذا دعوته أنت، فانك ان كنت مستحقاً للعقاب ورد الدعاء، فالنبي والصالح لا يعين على ما يكره الله، ولا يسعى فيما يبغضك اليه، وان لم يكن كذلك فالله أولى بالرحمة والقبول منه، فإن قلت هذا اذا دعا الله أجاب دعاءه أعظم مما يجيب اذا دعوته أنا.

فهذا القسم الثاني*، وهو أن يطلب منه الفعل، ولا يدعوه*، ولكن يطلب أن يدعو له*، كما يقال للحي*، أدع لي، وكما كان الصحابة يطلبون من النبي ﷺ الدعاء*، فهذا مشروع في الحي*، وأما الميت من الأنبياء والصالحين وغيرهم، فلم يشرع لنا أن نقول أدع لنا وأسأل لنا ربك ونحو ذلك*، ولم يفعل هذا أحد من الصحابة ولا التابعين*، ولا أمر به أحد من

الأئمة*، ولا ورد في ذلك حديث* بل الذي ثبت في الصحيح أنهم لما أجدبوا زمن عمر استسقى بالعباس رضي الله عنهما*، فقال اللهم انا كنا اذا أجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا* وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا* فيسقون* فلم يجيئوا الى قبر النبي ﷺ قائلين: يا رسول الله أدع الله لنا، .أو استقي لنا ونحن نشكو اليك ما أصابنا ونحو هذا، ولم يقله أحد من الصحابة قط، بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، بل كانوا اذا جاءوا عند قبر النبي ﷺ يسلمون عليه، ثم اذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلي القبر، بل ينحرفون فيستقبلون القبلة*، ويدعون الله وحده لا شريك له*، كما كانوا يدعونه في سائر البقاع.

وفي الموطأ وغيره أن النبي ﷺ قال: اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد*، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد*.

وفي السنن أيضاً أنه قال: لا تتخذوا قبري عيداً*، وصلوا عليّ حيث ما كنتم فان صلاتكم تبلغني*، وفي الصحيح أنه قال في مرضه الذي لم يقم منه*، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد*، يحذر ما فعلوا، قالت عائشة رضي الله عنها*، ولولا ذلك لأبرز قبره لكن خشي أن يتخذ مسجداً*.

وفي سنن أبي داود عنه، أنه قال: لعن الله زوارات القبور*، والمتخذين عليها المساجد والسُّرج.

ولهذا قال العلماء لا يجوز بناء المساجد على القبور، وقالوا إنه لا يجوز أن ينذر لقبر ولا للمجاورين عند القبر، لا من دراهم ولا زيت ولا شمع ولا حيوان ولا غير ذلك كله نذر معصية، ولم يقل أحد من أئمة المسلمين أن الصلاة عند القبور في المساجد مستحبة، ولا الدعاء هناك أفضل، بل

اتفقوا كلهم على أن الصلاة في المساجد وفي البيوت أفضل من الصلاة عند قبر، لا قبر نبي ولا صالح سواء سميت مشاهد أم لا، وقد شرع الله ذلك في المساجد دون المشاهد.

وقال: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها﴾، ولم يقل في المشاهد، وقال تعالى: ﴿قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾، وقال تعالى: ﴿انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾.

وذكر البخاري في صحيحه، والطبري وغيره في تفاسيرهم في قوله تعالى: ﴿وقالوا لا تَذَرُنَّ آلهتكم ولا تَذَرُنَّ وداً ولا سواعاً، ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾*، وقالوا هذه أسماء رجال صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم*، ثم طال عليهم الأمد فاتخذوا تماثيلهم أصناماً*، فالعكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها، هو أصل الشرك وعبادة الأوثان*.

ولهذا اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ، أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين*، فانه لا يتمسّح به ولا يقبله، وليس في الدين ما شرع تقبيله الا الحجر الأسود*.

وقد ثبت في الصحيحين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: والله اني لأعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع*، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك*.

ولهذا لا يسن أن يقبل الرجل ركني البيت اللذين يليان الحجر ولا يستلمها، ولا مقام ابراهيم، ولا صخرة بيت المقدس*، ولا قبر أحد من الأنبياء والصالحين، انتهى.

وقال رحمه الله في الرد على البكري بعد كلام له سبق*، لكن من هو الذي جعل الاستغاثة بالمخلوق ودعائه، سبباً في الأمور التي لا يقدر عليها الا الله*، ومن الذي قال إنك اذ استغثت بميت أو غائب من البشر نبياً كان أو غير نبي*، كان ذلك سبباً في حصول الرزق والنصر والهدى وغير ذلك مما لا يقدر عليه الا الله*، ومن الذي شرع ذلك وأمر به*، ومن الذي فعل من الأنبياء والصحابة والتابعين لهم باحسان*، فان هذا المقام يحتاج الى مقدمتين*.

إحداهما أن هذه أسباب لحصول المطالب التي لا يقدر عليها الا الله*، والثانية أن هذه الأسباب مشروعة لا يحرم فعلها*، فإنه ليس كلما كان سبباً كونياً يجوز تعاطيه*، الى أن قال*، وهذا المقام مما يظهر به ضلال هؤلاء المشركين خلقاً وأمراً*، فانهم مطالبون بالأدلة الشرعية على أن الله شرع لخلقه أن يسألوا ميتاً أو غائباً*، وأن يستغيثوا به سواء كان ذلك عنده قبره أم لم يكن عند قبره*، بل نقول سؤال الميت والغائب نبياً كان أو غير نبي، من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين*، لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين* فان أحداً منهم ما كان يقول اذا نزلت به شدة أو عرضت له حاجة لميت*، يا سيدي فلان أنا في حسبتك أو أقض حاجتي*، كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين*، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي ﷺ بعد موته*، ولا بغيره من الأنبياء لا عند قبورهم، ولا اذا بعدوا عنها*، بل ولا أقسم بمخلوق على الله أصلاً*، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأنبياء ولا قبور غير الأنبياء*، ولا الصلاة عندها وقد كرّه العلماء كمالك وغيره، أن يقوم الرجل عند قبر النبي ﷺ يدعو لنفسه*، وذكروا أن هذا من البدع

التي لم يفعلها السلف*، وأما ما يروى عن بعضهم أنه قال: قبر (معروف) الترياق المجرب*، وقول بعضهم فلان يدعى عند قبره*، وقول بعض الشيوخ اذا دعت حاجة فاستغث بي*، أو قال استغث عند قبري ونحو ذلك*، فان هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين وأتباعهم*، ولكن هذه الأمور كلها بدع محدثة في الاسلام بعد القرون المفضلة*، وكذلك المساجد المبنية على القبور التي تسمى المشاهد*، محدثة في الاسلام*، والسفر اليها محدث في الاسلام*، لم يكن شيء من ذلك في القرون الثلاثة المفضلة، بل ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد*، يحذر ما فعلوا، قالت عائشة رضي الله عنها، ولولا ذلك لأبرز قبره ولكن كره ان يتخذ مسجداً*.

وثبت في الصحيح عنه أنه قال قبل أن يموت بخمس، أن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجداً، الا، فلا تتخذوا القبور مساجد فاني أنهاكم عن ذلك*، وقد تقدم أن عمر لما أجدبوا استسقى بالعباس، فقال اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل اليك نبيّنا فتسقينا*، وإنا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون*، فلم يذهبوا الى القبر ولا توسلوا بميت، ولا غائب، بل توسلوا بالعباس*، وكان توسلهم به توسلاً بدعائه كالامام مع المأموم، وهذا تعذر بموته.

فأما قول القائل عن ميت من الأنبياء والصالحين اللهم اني أسألك بفلان*، أو بجاه أو بحرمة فلان*، فهذا لم ينقل لا عن النبي ﷺ، ولا عن الصحابة ولا التابعين، وقد نص غير واحد من العلماء أنه لا يجوز فكيف يقول القائل للميت أنا استغيث بك واستجيرك وأنا في حسبك أو سل الله لي ونحو ذلك.

فتبيّن أن هذا ليس من الأسباب المشروعة لو قدر أن له تأثيراً، فكيف

اذا لم يكن له تأثير صالح ، وذلك ان من الناس الذين يستغيثون بغائب، أو ميت من تتمثل له الشياطين، وربما كانت على صورة ذلك الغائب، وربما كلمته وربما قضت له أحياناً بعض حوائجه كما تفعل شياطين الأصنام*، فان أحداً من الأنبياء والصالحين لم يعبد في حياته اذ هو ينهى عن ذلك*، وأما بعد الموت، فهو لا ينهى ، فيفضي ذلك الى اتخاذ قبره وثناً يعبد*.

ولهذا قال النبي ﷺ، لا تتخذوا قبري عيداً الى آخره، وقال اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد*.

وقال غير واحد من السلف في قوله تعالى: ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم﴾ الآية، ان هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم، ولهذا المعنى لعن النبي ﷺ الذين اتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد، انتهى.

وأخرج ابن ابي شيبه عن الزبير أنه رأى قوماً يمسحون المقام فقال*، لم تؤمروا بهذا، انما أمرتم بالصلاة عنده، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة، في قول الله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى*﴾، قال: انما أمروا أن يصلوا عنده ولم يؤمروا بمسحه*، ولقد تكلفت هذه الأمّة أشياء ما تكلفته الأمم قبلها*.

فان كان المعترض يستدل بكلام شيخ الاسلام، فهذا صريح كلامه المؤيد بالأدلّة والبراهين*، وكلام العلماء كمثل كلام الشيخ في هذا المعنى كثيرٌ جداً، ولو ذكرناه لطال الجواب*، وأما قول المعترض، بل مدح الصرصري واثنى عليه بقوله: قال الفقيه الصالح يحيى بن يوسف الصرصري في نظمه المشهور.

فالجواب: أن هذا من جملة أكاذيب المعترض على شيخ الاسلام وغيره،

وقد كذب على الاقناع والشفا، وليس في الكتابين الا ما يبطل قوله، وفي الحديث ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى*، اذا لم تستح فاصنع ما شئت*، والا فكلام شيخ الاسلام في رد ما يقوله الصرصري وانكاره موجود بحمد الله*، قال رحمه الله، في رده على ابن البكري بعد وجهين ذكرهما*.

الثالث: أنه أدرج سؤاله أيضاً في الاستغاثة به وهذا جائز في حياته لكنه أخطأ في التسوية بين المحيا والممات، وهذا ما علمته ينقل عن أحد العلماء، ولكنه موجود في كلام بعض الناس، مثل الشيخ يحيى الصرصري ففي شعره قطعة*، وكمحمد بن النعمان، وهؤلاء لهم دين وصلاح لكنهم ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الاسلام*، وليس معهم دليل شرعي ولا نقل عن عالم مرضي*، بل عادة جروا عليها كما جرت عادة كثير من الناس، بأنه يستغيث بشيخه في الشدائد*، ويدعوه وأكثرهم من يأتي الى قبر الشيخ يدعوه ويدعو به ويدعو عنده*، وهؤلاء ليس لهم مستند شرعي من كتاب الله أو سنّة رسوله أو قول عن الصحابة والأئمة، وليس عندهم الا قول طائفة أخرى*، قبر معروف ترياق مجرب*، والدعاء عند قبر الشيخ مجاب ونحو ذلك*، ومعهم أن طائفة استغاثوا بحي أو ميت فرأوه قد أتى في الهواء*، وقضى بعض تلك الحوائج*، وهذا كثير واقع في المشركين الذين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين أو الكواكب والأوثان، فان الشياطين كثيراً ما تتمثل لهم فيرونها*، وانها قد تخاطب أحدهم ولا يراها*، ولو ذكرت ما أعلم من الوقائع الموجودة في زماننا لطال المقال*، وكلّما كان القوم أعظم جهلاً وضلالاً، كانت هذه الأحوال الشيطانية عندهم أكثر*، وقد يأتي الشيطان أحدهم بمال أو لباس أو غير ذلك، وهو لا يرى أحداً أتاه به فيحسب ذلك كرامة*، وانما

هو من الشيطان، وسببه شركه بالله*، وخروجه عن طاعة الله ورسوله الى طاعة الشيطان، فأضلتهم الشياطين بذلك*، كما كانت تضل عباد الأصنام، انتهى ما ذكره شيخ الاسلام رحمه الله*، من انكاره ما في شعر الصرصري وغيره من هذه الأمور الشركية وبيّن أسبابها.

وأما قول المعترض وفيه توسل عظيم، ان لم يزد على قول صاحب البردة لم ينقص عنه.

فالجواب: ان هذا من عدم بصيرته وكبير جهله*، فان من له أدنى معرفة وفهم، يعلم أن بين قول صاحب البردة وقول الصرصري في أبياته تفاوتاً بعيداً، فقد نبهنا على ما يقتضيه كلام صاحب البردة من قصر الهية والربوبية والملك*، وشمول العلم على عبد شرفه الله بعبوديته ورسالته، ودعوة الخلق الى عبادته وحده، وجهاد الناس على ذلك، وبلّغ الأمّة ما أنزله الله تعالى عليه في الآيات المحكمات، في تجريد التوحيد*، والنهى عن الشرك ووسائله كما قدمنا الاشارة اليه.

وأما الصرصري، ففي كلامه التوسل بالنبي ﷺ، والاستغاثة به بلا قصر ولا حصر للاستغاثة، والاستعانة في جانب المخلوق وقد أنكره شيخ الاسلام رحمه الله*، وذكر أنه لا دليل من كتاب ولا سنّة عليه ولا قال به أحد من الصحابة والتابعين والأئمة.

وقد بيّن رحمه الله أن استغاثة الحي بالحي انما هي بدعائه وشفاعته*، وأما الميت والغائب فلا يجوز أن يستغاث به وكذلك الحي فيما لا يقدر عليه الا الله، وان أهل الاشراك ليس معهم الا الجهل والهوى*، وعوائد نشأوا عليها بلا برهان*، وقد عرفت أن هذا المعترض لم يأت الا بشبهات واهية*، وحكايات سفسطائية أو منامات تضليلية، كما قال كعب بن زهير.

فلا يغرّنك ما منّت وما وعدت ان الأمانيَ والأحلام تضليل

وليس مع هؤلاء المشركين الا دعوى مجردة محشوة بالأكاذيب، وليس معهم بحمد الله دليل من كتاب أو سنّة أو قول واحد من سلف الأمّة وأئمتها*، وقد جئناهم بأدلة الكتاب والسنّة*، وما عليه الصحابة والأئمة*، ولو استقصينا ذكر الأدلة وبسط القول لاحتمل مجلداً ضخماً*.

وسبب الفتنة بقصائد هؤلاء المتأخرين كقصائد البوصيري والبرعي واختيارها على قصائد شعراء الصحابة كحسان بن ثابت*، وكعب بن مالك، وكعب بن زهير وغيرهم من شعراء الصحابة رضي الله عنهم*، وفيها من شواهد اللغة والبلاغة ما لم يدرك هؤلاء المتأخرون منه عشر المعشار*، وما ذاك الا لأن قصائد هؤلاء المتأخرين تجاوزوا فيها الحد الى ما يكرهه الله ورسوله*، فزينها الشيطان في نفوس الجهال والضلال* فمالت اليها نفوسهم عن قصائد الصحابة التي ليس فيها الا الحق والصدق*، وما قصروا فيها جهدهم عمّا يصلح أن يمدح به رسوله ﷺ*، وتحروا فيها ما يرضيه وتجنبوا ما يسخطه ﷺ*، وما نهى عنه من الغلو*، فما أشبه هؤلاء بقول أبي الوفا ابن عقيل وهو في القرن الخامس*، لما صعبت التكاليف على الجهال الطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم*، اذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم.

قال وهم عندي كفّار بهذه الأوضاع الى آخره ومما يتعين ان نختم به هذا الجواب.

فصل: ذكره العلامة ابن القيم رحمه الله ونفعنا بعلومه، قال بعد أن ذكر زيارة الموحدين للقبور وأن مقصودها ثلاثة أشياء.

أحدها تذكير الآخـرة والاعتبار والاتعـاظ*، الثاني الاحسـان الى الميت وأن لا يـطول عهده فيتنـاساه*، فـاذا زاره أو أهدى اليـه هديـة من دعاء أو صدقة*، ازداد بـذلك سروره وفـرحه*، ولهـذا شرع النبي ﷺ للزائرين أن يدعو لأهل القبور بالمغفرة والرحمة*، وسؤال العافية فقط*.

ولم يشرع أن يدعوهم ولا يدعو بهم ولا يصلي عندهم*.

الثالث احسان الزائر الى نفسـه باتبـاع السنّة والـوقوف عنـد ما شرعـه الرسول ﷺ*، وأما الزيارة الشركية*، فأصلها مـأخوذ من عبـاد الأصنام*، قـالوا الميت المعـظم الذي لـروحه قـرب ومـزيـة عند الله*، لا يـزال تأتيـه الالطاف من الله*، وتفيض على روحه الخيرات*، فاذا علق الزائر روحه بـه وأدنـاهـا*، فـاض من رزح المـزور عـلى روح الـزائـر من تلك الألـطاف بواسطتها*، كما ينعكس الشعاع من المرآة الصافية والماء على الجسم المقـابل له*.

قالوا فتمام الزيـارة أن يتوجـه الزائـر بروحـه وقلبه الى الميت*، ويعكف بهمته عليه*، ويوجه قصده كله واقباله عليه بحيث لا يبقى فيـه التفات الى غيره*، وكلما كان جمع القلب والهمة عليه أعظم*، كـان أقرب الى الانتفـاع به*، وقد ذكر هذه الـزيارة ابن سينـا والفارابي*، وغـيرهما وصرح بهـا عباد الكـواكب في عبادتهـا*، وهذا بعينـه هو الـذي أوجد لعبـاد القبور اتخـاذها أعياداً وتعليق الستور عليهـا*، وايقاد السرج وبنـاء المساجـد عليها*، وهـو الذي قصد رسـول الله ﷺ إبطالـه ومحوه بـالكلية*، وسـد الذرائـع المفضية اليه*، فوقف المشركون في طريقه وناقضوه في قصده*، وكان رسول الله ﷺ في شق، وهؤلاء في شق*، وهذا الذي ذكره هؤلاء في زيارة القبور والشفاعة التي ظنوا ان آلهتهم تنفعهم بها*، وتشفـع لهم عند الله قـالوا فـان العبد اذا تعلقت روحـه بروح الـوجيه المقـرب عند الله*، وتـوجه بهمتـه اليه وعكف

بقلبه عليه*، صار بينه وبينه اتصال يفيض عليه نصيب مما يحصل له من الله*، وشبهوا ذلك بمن يخدم ذا جاه وحظوة وقرب من السلطان*، وهو شديد التعلق به فيا يحصل لذلك من السلطان*، من الانعام والأفضال ينال ذلك المتعلق به بحسب تعلقه به*، فهذا سرّ عبادة الأصنام*، وهو الذي بعث الله رسله*، وأنزل كتبه بإبطاله*، وتكفير أصحابه*، ولعنهم وأباح دماءهم وأموالهم*، وسبى ذراريهم وأوجب لهم النار*، والقرآن من أوله إلى آخره مملوءٌ من ردٍّ على أهله وابطال مذهبهم.

قال الله تعالى: **﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون*، قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم اليه ترجعون*﴾**.

فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض وهو الله وحده*، وهو الذي يشفع بنفسه الى نفسه ليرحم عبده فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه*، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له*، والذي يشفع عنده انما يشفع باذنه وأمره*، بعد شفاعته سبحانه الى نفسه*، وهي ارادته من نفسه أن يرحم عبده*، وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم*، وهي التي أبطلها الله سبحانه بقوله*: **﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفسٌ عن نفس شيئاً، ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة*﴾**.

وقوله: **﴿يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون*﴾**.

وقال تعالى: **﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه وليّ ولا شفيع﴾**.

وأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه*، بل اذا أراد سبحانه

رحمته بعبده أذن هو لمن يشفع فيه، كما قال تعالى: ﴿ما من شفيع الا من بعد اذنه*﴾، وقال تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه﴾.

فالشفاعة باذنه ليست شفاعة من دونه*، ولا الشافع شفيع من دونه*، بل يشفع باذنه*، والفرق بين الشفيعين كالفرق بين الشريك والعبد المأمور*، فالشفاعة التي أبطلها شفاعة الشريك فانه لا شريك له*، والتي أثبتها شفاعة العبد المأمور الذي يشفع ولا يتقدم بين يدي مالكه حتى يأذن له*، ويقول اشفع في فلان*، ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيّد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد*، الذين جردوا التوحيد وخلصوه من تعلقات الشرك وشوائبه*، وهم الذين ارتضى الله سبحانه.

قال تعالى: ﴿ولا يشفعون الا لمن ارتضى﴾، وقال تعالى: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً﴾*، فأخبر أنه لا تحصل يومئذ شفاعة تنفع الا بعد رضى قول المشفوع له*، واذنه للشافع* فأما المشرك فانه لا يرضاه ولا يرضى قوله*، فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فانه سبحانه علقها بأمرين*، رضاه عن المشفوع له واذنه للشافع*، فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة.

وسر ذلك أن الأمر كله لله وحده فليس لأحد معه من الأمر شيء*، وأعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عنده هم الرسل والملائكة المقربون*، وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول، ولا يتقدمون بين يديه*، ولا يفعلون شيئاً الا من بعد اذنه لهم*، ولا سيما يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً*، فهم مملوكون مربوبون، أفعالهم مقيدة بأمره واذنه*، فاذا اشركهم به المشرك واتخذهم شفعاء من دونه ظناً منه أنه اذا فعل ذلك تقدموا وشفعوا له عند الله*، فهو من أجهل الناس بحق الرب سبحانه وما يجب له ويمتنع عليه*، فإن هذا محال ممتنع يشبه قياس الرب سبحانه على الملوك والكبراء*، حيث يتخذ الرجل

من خواصهم وأوليائهم من يشفع له عندهم في الحوائج *.

وبهذا القياس الفاسد عبدت الأصنام واتخذ المشركون من دون الله الشفيع والولي، والفرق بينهما، هو الفرق بين الخالق والمخلوق، والرب والمربوب، والسيّد والعبد، والمالك والمملوك، والغني والفقير، والذي لا حاجة به الى أحد قط والمحتاج من كل وجه الى غيره*، فالشفعاء عند المخلوقين هم شركاؤهم فان قيام مصالحهم بهم*، وهم أعوانهم وأنصارهم الذين قيام أمر الملوك والكبراء بهم*، ولولاهم لما انبسطت أيديهم وألسنتهم في الناس*، فلحاجتهم اليهم يحتاجون الى قبول شفاعتهم*، وان لم يأذنوا فيها ولم يرضوا عن الشافع*، لأنهم يخافون أن يردوا شفاعتهم فينتقص طاعتهم لهم*، ويذهبون الى غيرهم فلا يجدون بداً من قبول شفاعتهم على الكره والرضا*.

فأما الذي غناه من لوازم ذاته*، وكل ما سواه فقير اليه لذاته*، وكل من في السموات والأرض عبيد له مقهورون لقهره مصرفون بمشيئته* لو أهلكهم جميعاً، لم ينقص من عزه وسلطانه وملكه وربوبيته والهيته مثقال ذرة.

قال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، قل فمن يملك من الله شيئاً، ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمّه ومن في الأرض جيعاً، ولله ملك السموات والأرض﴾، قال في سيدة آي القرآن آية الكرسي: ﴿له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه﴾.

وقال تعالى: ﴿قل لله الشفاعة جميعاً، له ملك السموات والأرض*﴾، فأخبر أن ملكه السموات والأرض يوجب أن تكون الشفاعة كلها له وحده، وأن أحداً لا يشفع عنده الا باذنه*، فانه ليس بشريك بل مملوك محض*،

بخلاف شفاعة أهل الدنيا بعضهم عند بعض.

فتبيّن أن الشفاعة التي نفاها الله سبحانه في القرآن هي هذه الشفاعة الشركية التي يفعلها بعضهم مع بعض*، ولهذا يطلق نفيها تارة بناء على أنها هي المعروفة عند الناس ويقيدها تارة بأنها لا تنفع الا باذنه*، وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه*، فانه الذي أذن، والذي قبل، والذي رضي عن المشفوع*، والذي وفقه لفعل ما يستحق به الشفاعة*، وقوله فمتخذ الشفيع لا تنفعه شفاعته*، ولا يشفع فيه*، ومتخذ الرب وحده الهه ومعبوده ومحبوبه ومرجوّه ومخوفه الذي يتقرب اليه وحده*، ويطلب رضاه ويتباعد من سخطه*، هو الذي يأذن الله سبحانه للشفيع أن يشفع له.

قال تعالى: **﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله*، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾**.

فبيّن سبحانه أن متخذي الشفعاء مشركون*، وأن الشفاعة لا تحصل باتخاذهم*.

وسر الفرق بين الشفاعتين أن شفاعة المخلوق للمخلوق وسؤاله للمشفوع عنده لا يفتقر فيها الى المشفوع عنده لا خلقاً ولا أمراً ولا اذناً*، بل هو سبب محرك له من خارج كسائر الأسباب، وهذا السبب المحرك قد يكون عند المحرك لأجله ما يوافقه كمن يشفع عنده في أمر يحبه ويرضاه وقد يكون عنده ما يخالفه*، كمن يشفع اليه في أمر يكرهه*، ثم قد يكون سؤاله وشفاعته أقوى من المعارض فيقبل شفاعة الشافع*، وقد يكون المعارض الذي عنده أقوى من شفاعة الشافع*، فيردها*، وقد يتعارض عنده الأمران*، فيبقى مترددا بين ذلك المعارض الذي يوجب الرد، وبين

الشفاعة التي تقتضي القبول*، فيتوقف الى أن يترجح عنده أحد الأمرين بمرجح*، وهذا بخلاف الشفاعة عند الرب سبحانه وتعالى فانه لم يخلق شفاعة الشافع، ويأذن له فيها ويحبها منه ويرضى عن الشافع*، لم يكن أن توجد، والشافع لا يشفع عند بمجرد امتثال أمره وطاعته له*، فهو مأمور بالشفاعة مطيع بامتثال الأمر*، فانّ أحداً من الأنبياء والملائكة وجميع المخلوقات لا يتحرك بشفاعة ولا غيرها الا بمشيئة الله وخلقه*.

فالرب تعالى هو الذي يحرك الشفيع حتى يشفع*، والشفيع عند المخلوق هو الذي يحرك المشفوع اليه حتى يقبل*، والشافع عند المخلوق مستغن عنه في أكثر أموره*، وهو في الحقيقة شريكه ولو كان مملوكه وعبده*، فالمشفوع عنده محتاج اليه فيما يناله من النفع والنصر والمعاونة وغير ذلك*، كما أن الشافع محتاج اليه فيما يناله من رزق أو نصر أو غيره*، فكل منهما محتاج الى الآخر*، ومن وفقه الله لفهم هذا الموضع تبيّن له حقيقة التوحيد والشرك*، والفرق بين ما أثبت الله من الشفاعة وما نفاه وأبطله، ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور*﴾، ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله*، وبما عليه أهل الشرك والبدع اليوم علم أن بين السلف وبين هؤلاء الخلوف أبعد مما بين المشرق والمغرب، وأنهم على شيء، والسلف على شيء، كما قيل: -

سارت مشرّقة وسرت مغرّبا شتّان بين مشرّق ومغرّب

والأمر والله أعظم مما ذكرنا، انتهى. وبه كمل الجواب والحمد لله الذي هدانا لدينه الذي رضيه لعباده وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله*، وصلى الله على محمد النبي الأميّ وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً جزيلاً وفياً وافراً.


تم بحمد الله